موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية

(٢٠)

حسن المعاملة

الباحث الرئيسي ورئيس الفريق العلمي
أ.د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك

www.mtenback.com

دار رواح للنشر والتوزيع

ⓒ مرزوق بن صنيتان بن تنباك ، ١٤٢١ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية/مرزوق بن صنيتان بن تنباك ... [أخ]. الرياض.

٥٢ ج؛ ١٧×٢٤ سم

ردمك : ٤-١٨٥-٣٨-٩٩٦٠ (مجموعة)

٢-٢٠٥-٣٨-٩٩٦٠ (ج ٢٠)

١- الأدب العربي - موسوعات أ- ابن تنباك ، مرزوق بن صنيتان (م . مشارك)

ديوي ٨١٠,٣ ٢١/٢٠٧٨

رقم الإيداع : ٢١/٢٠٧٨

ردمك : ٤-١٨٥-٣٨-٩٩٦٠ (مجموعة)

٢-٢٠٥-٣٨-٩٩٦٠ (ج ٢٠)

www.mtenback.com

فهرس المحتويات

الموضـــوع	الصفحة
توطئة	٥
حسن المعاملة لغةً	٧
حسن المعاملة اصطلاحًا	٨
المعاملة بين أفراد الأسرة	٤٠
الزملاء وأصحاب الصنائع	٥٠
الخدم	٥٥
غير المسلمين	٥٨
الأمة والحكام	٦٠
الحيوان	٧٧
أثر حسن المعاملة في المجتمع والفرد	٨١
الفهارس	٨٧

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فَإِذَا رُزِقَتْ خَلِيقَةً مَحْمُودَةً فَقَدِ اصْطَفَاكَ مُقَسِّمُ الأَرْزَاقِ

فَالنَّاسُ هَذَا حَظُّهُ مَالٌ وَذَا عِلْمٌ وَذَاكَ مَكَارِمُ الأَخْلَاقِ

حَافِظ إِبْرَاهِيم

www.mtenback.com
موقع الدكتور مرزوق تنباك

توطئة:

ليس جديدًا أن يقال إن الدعوة إلى الصلاح وحسن المعاملة بين الناس ظل هم الثقافات الإنسانية والأديان وديدنها منذ أقدم عصورها حتى أيامنا المعاصرة.

ومن البدهي أن «حسن المعاملة» يعني «حسن الخلق»، وهو جانب من الجوانب التي ألحت عليها ثقافتنا، فكان مؤشرًا دالاً دلالة واضحة على إنسانية العربي وعلو منزلته ورهافة حسه وصدق شعوره ورقة إحساسه بالناس الذين يعيشون حوله، ودلالةً على نضجه الاجتماعي وإدراكه لأسباب صناعة الحضارة الإنسانية.

وقد وازن بعض القدماء بين العرب وغيرهم من الشعوب، كالروم والفرس والهنود، وذكروا أن لكلّ منها محاسنه التي تخصّه وتميّزه، فكان مما عرف به العرب الحرص على المكارم والبعد عن المساوئ، ومن علامات ذلك أنهم «جعلوا بينهم شيئًا ينهاهم به عن المنكر ويرغّبهم في الجميل، ويجتنبون به الدناءة، ويحضّهم على المكارم، حتى إنّ الرجل منهم وهو في فجٍّ من الأرض يصف المكارم فما يبقي من نعتها شيئًا، ويسرف في ذمّ المساوئ فلا يقصّر. ليس لهم كلام إلا وهم يحاضّون به على اصطناع المعروف، ثم حفظ الجار وبذل المال، وابتناء المحامد، كل واحد منهم يصيب ذلك بعقله، ويستخرجه بفطنته وفكرته، فلا يتعلمون ولا يتأدبون، بل نحائز مؤدبة وعقول عارفة...»[1].

وحسن المعاملة أو بالأحرى: «حسن الخلق» من ألزم اللوازم لسعادة البشر، ومن أصدق البراهين على تمدنهم وتحضّرهم، فالأمم تتفاضل في حالة البداوة بالقوة

---

[1] التوحيدي، أبوحيان علي بن محمد بن العباس: الإمتاع والمؤانسة، تحقيق: أحمد أمين وأحمد الزين، القاهرة، لجنة التأليف والنشر والترجمة، ط٢، (١٩٥٣م)، ج١، ص٧٢. والفجّ: الطريق الواسع البعيد، النحائز: جمع النحيزة، وهي الطبيعة.

www.mtenback.com

البدنية، فإذا ارتقت تفاضلت بالعلم، ثم إذا بلغت من الارتقاء غايةً تفاضلت بالأخلاق[٢]. ومن الجدير بالذكر أن المكتبة العربية قد زخرت بما كتب عن الأخلاق والمكارم، حتى بدا وكأنها من الموضوعات التي يشترك فيها معظم الكتاب على اختلاف نزعاتهم وأهوائهم[٣].

---

[٢] المغربي، عبد القادر بن مصطفى الطرابلسي: الأخلاق والواجبات، القاهرة، السلفية، ط٢، (١٣٤٧هـ/١٩٢٨م)، ص ٢٨.

[٣] انظر على سبيل المثال:

- أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي: ديوان الحماسة، نشر: محمد عبدالمنعم خفاجي، الباب الثالث وموضوعه الأدب.
- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد: أدب الدنيا والدين، تحقيق: مصطفى السقا، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط٤، (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م).
- الطرطوشي، محمد بن الوليد: سراج الملوك، القاهرة، المطبعة المحمودية التجارية، (١٣٥٤هـ/١٩٣٥م)، انظر فيه: الكلمات الجامعات لمكارم الأخلاق المنسوبة إلى أكثم بن صيفي، معرفة حسن الخلق، صفة خلق الرسول عليه الصلاة والسلام.
- الطبرسي، رضي الدين الفضل بن أمين الدين أبي علي: مكارم الأخلاق، القاهرة، العامرة المليجية، ط١، (١٣٣١هـ/١٩٩٢م).
- الهاشمي، أحمد بن إبراهيم: جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، القاهرة، التجارية الكبرى، (١٩٩٦م)، ورد في الجزء الثاني من النصائح والحكم والأدب والمعاشرة.
- المغربي، عبدالقادر: الأخلاق والواجبات.
- قراعة، محمود علي: الأخلاق في الإسلام من أحاديث الرسول ومن فتاوى ابن تيمية، القاهرة، دار مصر، ١٩٦٤م، انظر: الفصل الثالث عن الحب والأخوة وحسن المعاشرة في الإسلام، والفصل الرابع عن العدل.

www.mtenback.com

حسن المعاملة لغة:

إذا وصفنا إنسانًا بأنه «حسن المعاملة»[٤] فإننا بذلك نصفه بصفات جامعة تعلي درجته وتؤكد مكارمه وقدراته على الاتّزان ومراعاة ما يقتضيه السلوك القويم تجاه الآخرين، ومعنى ذلك أننا الآن نستعمل لفظ «المعاملة» بدلالات أوسع وأشمل مما كانت تستعمل به قديمًا[٥].

فقد انصرفت معانيها عند القدماء إلى الأمور الدنيويّة المتعلّقة بالتصرفّات الماليّة، والمعنيّة بالأحكام الشرعية التي تبيّن طبيعة العلاقة بين الإنسان والمال، وتتحدث عن التوجيهات التي تحدد الصلة بين الناس جميعًا بما يكفل تحقيق التراضي والعدل. وقد تعددت المؤلفات التي بحثت أشكال المعاملات المختلفة وأوضحت معانيها مثل: الملكية والأهلية والربا والشفعة والخيارات والقروض، وتحدثت هذه المؤلفات عن نظريات العقد وأنواع العقود من مثل: البيع والإجارة والوكالة والرهن والكفالة وغيرها[٦].

وثمة نصوص كثيرة تشير إلى أن مفهوم المعاملة مرتبط بالمال وما يكتنفه من تصرفات.

---

[٤] لكلمة «الحُسْن» معانيها الحلوة المحببة التي تشير إلى كل جميل مبهج مرغوب فيه يوصل إلى رضا النفس وسعادتها وطمأنينتها.

[٥] اكتفى ابن منظور في بيانه لمعنى «عامل» بقوله: «عاملت الرجل أعامله معاملة»،ثم قال: «المعاملة في كلام أهل العراق: هي المساقاة، في كلام أهل الحجاز»؛ ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، القاهرة، بولاق (١٣٠٠-١٣٠٧هـ) مادة (عمل)، ج١٣، ص٥٠٤. وقد فسر أيضًا معنى «المساقاة» بقولة: «ساقى فلان فلانًا نخله إذا دفعه إليه واستعمله فيه على أن يعمره ويقوم بمصلحته، فما أخرج الله منه فللعامل سهم من كذا وكذا سهمًا مما تغله والباقي لمالك النخل، وأهل العراق يسمونها المعاملة» لسان العرب (سقى) ج١٩، ص١١٨.

[٦] من المفيد أن يُشار إلى أن ميادين النظريات الإسلامية في هذه الموضوعات مازالت مجالاً خصبًا للباحثين والدارسين يقدمون فيه الجديدوالمتنوع الذي يساير الأحوال المتغيرة ويضمن للناس العدل.

www.mtenback.com

ومن المرجح أن المعنى المرتبط بالتعامل الماليّ قد أشاع القول المأثور: «الدين المعاملة»[٧]، وفيه حث على الإحسان وتحرّي الحق. ولكننا كثيراً ما نتداوله إذا واجهنا موقفًا نحتاج فيه إلى تذكير أنفسنا أو تذكير الآخرين بما ينبغي اتباعه من المراعاة وتوخي الصواب وإحسان المعاملة. ومن أمثلة التوجيهات الإسلامية في هذا الإطار توجيه يلزم البائع بأن يحدد صفات سلعته التي يبيعها وأن يكشف للمشتري عما لحقها من عيوب، قال ﷺ: «المسلم أخو المسلم، لا يحل لمسلم باع من أخيه بيعًا وفيه عيب إلا بيّنه له»[٨].

ومن هذه الأمثلة أيضًا النهي عن الختل والخديعة حين يزيد الرجل في ثمن السلعة إغراراً وتمويهًا، وهو لا يريد شراءها، ليسمعه غيره فيزيد بزيادته ويقع في شرك التضليل، وقد ورد في الحديث النبوي: «لا تناجشوا»[٩].

حسن المعاملة اصطلاحًا:

ظل لفظ «المعاملة» محتفظًا بدلالته الغالبة على مرّ العصور، ومن ذلك مقالة ابن مسكويه عن العدالة والخيريّة وأنهما «يشتركان في باب المعاملات والأخذ والعطاء، إلا أن العدالة تقع في اكتساب المال... والخيرية تقع في إنفاقه»[١٠]. وذكر أن الفضائل

---

[٧] أورده المغربي، عبد القادر: في سياق أحاديث نبوية أخرى تدل على ما أسماه الحقوق والواجبات، انظر: الأخلاق والواجبات، ص ٣١.

[٨] الترمذي: الجامع، حديث رقم: ١٢٠٤. وسنن ابن ماجة، رقم الحديث: ٢١٧٣.

[٩] ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، نشر: طه عبد الرؤوف سعد، القاهرة، دار الغد العربي، ط١ (١٤١٢هـ/١٩٩٢م)، ج٧، ص٤٩-٥٢؛ علي، محمود: المعاملات في الشريعة الإسلامية، ص ٥٨.

[١٠] ابن مسكويه، أبو علي أحمدبن محمد: تهذيب الأخلاق، القاهرة، مدرسة والدة عباس باشا، ط٢، (١٣٢٣هـ/١٩٠٥م)، ص١٠٥.

www.mtenback.com

الخلقية «إنما وضعت لأجل المعاملات والمعاشرات التي لا يتم الوجود الإنساني إلا بها، ذلك أن العدل إنما احتيج إليه لتصحيح المعاملات، وليزول به معنى الجور الذي هو رذيلة عند المتعاملين وأيضًا فإن جميع هذه الفضائل تحتاج إلى أسباب خارجة من الأموال واكتسابها من وجودها ليمكنه أن يفعل بها فعل الأحرار، والعادل يحتاج إلى مثل ذلك ليجازي من عاشره بجميل ويكافيء من عامله بإحسان»[11]، ونقل ابن مسكويه عن أحد الحكماء قوله: «إن السعادة التامة الخالصة هي لله عزّ وجلّ ثم للملائكة والمتألهين ولا ينبغي أن يضاف إلى الملائكة تلك الفضائل التي عددناها في سعادة الإنسان فإنهم لا يتعاملون، ولا يكون عند أحد منهم وديعة فيحتاج إلى ردّها، ولا لأحد منهم تجارة فيحتاج إلى العدالة»[12].

وفي الأمثال الشعبية ما يشير إلى أن المعاملة تتعلق بالمال وما يتصل به من تجارات أو غيرها، يقول المثل: «تعاشروا كالإخوان وتعاملوا كالأجانب»، أي أنه ليس في التجارة محاباة[13]، وربما أدى سوء التعامل إلى الخلافات، ما لم يحتكم الناس إلى قواعد منظمة وتشريعات واضحة، يقول المثل: «تفرّق بين المسلمين الدراهم»[14].

ويكشف ما سبق أن لفظ «المعاملة» قد اتجه أكثر ما اتجه إلى معاني التصرف في البيع والشراء ونحوهما مما يدل على الأخذ والعطاء، وبذلك كثر دورانه في الاستعمالات العربية القديمة. ومن الواضح أن معانيه في عصرنا قد اتسعت، فلم تعد قاصرة على المعاملات الماليّة، بل تعدتها إلى معاني السلوك والأخلاق العامة والتصرفات المختلفة مع الآخرين.

---

[11] ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق، ص١٣٩-١٤٠.

[12] ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق، ص١٤١.

[13] الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد: مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، السعادة، ط٢، (١٩٥٩م)، ج١، ص١٥٠.

[14] الميداني: مجمع الأمثال، ج١، ص١٥١.

www.mtenback.com

فإذا قال قائل إن فلانًا حسن المعاملة، فإنه يقصد بذلك أنه يتحلّى بقيم ومكارم أخلاقية كثيرة لها أهميتها وتأثيراتها الإنسانية، ولذلك يمكن القول إن حسن المعاملة صفة جامعة تجمع كثيرا من السجايا والمناقب ولو أُريد استقصاؤها لوجب ذكر معظم المحامد، وكذلك أيضًا يمكن القول إنّ مدلول حسن المعاملة يتسع ليشمل كل ما له تعلّق بالآخرين، فثمة معاملات تجاه طوائف متنوعة من الناس، وهؤلاء لابد أن يرتبط بهم الفرد ويتعامل معهم بطريقة أو بأخرى، من هذه الطوائف: الآباء والأبناء والأزواج والأقارب والجيران والأصدقاء والتلاميذ والخدم والرؤساء والمرؤوسين وغيرهم ممن يتعيّن الاحتكاك بهم كالضيوف الطارئين والزائرين الغرباء ومعتنقي الديانات والعقائد الأخرى.

وتدفع هذه المعاني المتسعة التي اتجهت إليها فضيلة «حسن المعاملة» إلى التساؤل عن ألفاظ أخرى مرادفة أو قريبة في المعنى قربًا سريع التبادُر إلى الأذهان، لشيوعها وجريانها على الألسنة، فمنها على سبيل المثال: «حسن المخالطة أو الخلطة أو التخالط»[١٥]، ومنها: «حسن المعاشرة أو العشرة أو التعاشر».

وقد تحدث المصنفون عن المعاشرة، فذكر بعضهم أن منها: «البشاشة والبشر وحسن الخلق والأدب» [١٦]. وعرّف بعضهم «المعروف» أو «العارفة» أو «العرف» تعريفات يقربها إلى حد كبير من تعريف حسن المعاملة، فالمعروف عندهم هو «النصفة (أي المعاملة بالعدل وإعطاء الحق) وحسن الصحبة مع الأهل وغيرهم من الناس»، أو هو «اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب إليه، والإحسان إلى الناس وكل ما ندب إليه الشرع، ونهى عنه من المحسّنات والمقبّحات»، بل إن المعروف مطلقًا هو ما

---

[١٥] ابن منظور: لسان العرب، مادة (خلط)، ج٩، ص١٦٤.

[١٦] الأبشيهي، محمد بن أحمد: المستطرف في كل فنّ مستظرف، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ج١، ص٢٦٨.

www.mtenback.com

يستحسن من الأفعال وهو كل ما تعرفه النفس من الخير وتأنس به وتألفه وتمرن عليه وتطمئن إليه».

وكثيرًا ما افتخر العربي بحسن معاملته للآخرين مما يدل على كرم النفس والدعوة إلى البذل والإعطاء، قال حاتم الطائي[١٧]:

وَمَا أَنا بالسَّاعي بِفَضْلِ زِمامِهَا ... لِتَشْرَبَ مَاءَ الحوْضِ قَبْلَ الرَّكَائِبِ

وَمَا أَنا بالطَّاوِي حَقِيْبَةَ رَحْلِهَا ... لأُبْعَثَهَا خِفًّا وَأَتْرُكُ صَاحِبِي

إِذا كُنْتَ رَبًّا لِلْقَلُوصِ فَلاَ تَدَعْ ... رَفِيْقَكَ يَمْشِي خَلْفَهَا غَيْرَ رَاكِبِ

أَنِخْهَا فَأَرْدِفْهُ فَإِنْ حَمَلَتْكُمَا ... فَذَاكَ وَإِنْ كَأْنَ العِقَابُ فَعَاْقِبِ

هذا النوع من الشعر يمثل ضربًا من المعاملة مع الآخرين أملتها طبيعة البيئة التي يعيشها العربي في صحرائه، وبينت ما يجب عليه نحو الآخرين الذين تربطه بهم رابطة المشاركة في ضرب من ضروب الحياة وهي الرحلة، واستخدم المطية وهو يستشعر ما عليه من واجبات نحو الآخرين، فلا يبخل ويترك صاحبه عند الحاجة حتى وإن كان الأمر في غاية الشح فيجب عليه أن يأخذ نصيبه من الشقاء ومن التعب.

والعشرة هي أن يعرف المرء ما يحق له وما يجب عليه حتى يضمن نوعًا من القبول ويؤدي الواجب ويصل بعشرته ما يعيد إليه شيئًا من احترام الناس حتى وإن لم يستطع كل شيء فلا أقل من محاولة ذلك وتقريبه ولعل أبا تمام قد ألمح إلى طبيعة الحياة وتعسر الأشياء على الإنسان وأنه قد لا يستطيع فعل كل ما يريد فأشار في الأبيات الآتية إلى ما يلزم من حسن المعاملة فقال[١٨]:

---

[١٧] أبو تمام: ديوان الحماسة، ج٢، ص٤٣-٤٤. والقلوص: الفتية القوية من الإبل، العقاب أو المعاقبة: المناوبة في الركوب.

[١٨] التوحيدي: البصائر والذخائر، ج٢، ص٢٣٢-٢٣٣.

www.mtenback.com

عَاشِرْ النَّاسَ بِالجَمِيـــــــلِ وَسَدِّدْ وَقَارِبْ
وَاحْتَرِسْ مِنْ أَذَى الكِرَا مِ وَجُدْ بِالمَوَاهِبْ
لاَ يَسُودُ الجَمِيْعَ مَنْ لَمْ يَقُمْ بِالنَّوَائِبْ
وَيَحُوْطُ الأَدْنَى وَيَرْ عَى ذِمَامَ الأَقَارِبْ
لاَ تُوَاصِلْ إِلاَّ الشَّرِ يْفَ الكَرِيْمَ الضَّرَائِبْ
مَنْ لَهُ خَيْرُ شَاهِدٍ وَلَهُ خَيْرُ غَائِبْ
وَاجْتَنِبْ وَصْلَ كُلِّ وَغْـ ـدٍ دَنِيْءِ المَكَاسِبْ
خَادِعٍ لاَ يَزَالُ يُو قِدُ نَارَ الحُبَاحِبْ
لاَ تَبِعْ عِرْضَكَ المَصُو نَ بِعَرَضِ المَطَالِبْ[19]
أَنَا لِلشَّرِّ كَارِهٌ وَلَهُ غَيْرُ هَائِبْ

فالدعوة إلى إحسان المعاملة وترك المبالغة ومقابلة الكرام بما يليق، والاضطلاع بالأعمال الجليلة والعطف على الضعفاء والحرص على صلات الرحم ورعاية الحرمات، ذلك كله تؤكده دواعي السيادة والشرف بين الناس. كما ينبغي مواصلة الشرفاء ذوي المروءة، والشرف أغلى ما يملكه المرء، لذا يلزم ألا يُضحّى به من أجل عرَض زائل

[19] الذي في البصائر: «المكالب» بل لعله كما جاء في البصائر وهو الفصيح. سدده: علّمه وهذّبه – قاربْ: اقتصدْ واتركِ المبالغة – النوائب: جمع نائبةَ وهي ما ينزل من المهمّات والكوارث، الضرائب: جمع ضريبة وهي الطبيعة والسجية – الوغد: الأحمق الدنيء الرذل أو الذي يخدم بطعام بطنه، نار الحباحب: ما تطاير من شرر النار من تصادم الحجارة أو نحوذلك، وذكر الثعالبي أن في معناه أقاويل مختلفة، وأنه يضرب مثلاً للشيء يروق ولا طائل فيه؛ الثعالبي، أبومنصور عبد الملك بن إسماعيل: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف (د.ت) ص٥٨١.

www.mtenback.com

ومتاع فان، وعلى المرء أن يكره الشّر ويحتقره ويقاومه، حتى يحفظ ماء وجهه وتكتمل مروءته.

ويحتلُّ الحديث عن الأخلاق مساحات شاسعة من التوجيهات الإسلامية، والأحاديث النبوية والمأثورات عن العرب وعن غيرهم. وقد كان الرسول ﷺ أحسن الناس خلقًا، كما وصفه ربه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٢٠].

ويغنينا ابن منظور بما ذكر عن الأخلاق ومكارمها، ومن ذلك قوله[٢١]: «الثواب والعقاب يتعلقان بأوصاف الصورة الباطنة، أكثر مما يتعلّقان بأوصاف الصورة الظاهرة»، ولهذا تكررت الأحاديث في مدح حسن الخلق في غير موضع ومنها: «أكثر ما يُدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق»[٢٢]. وقال: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا، كما ذكر أن المرء يدرك بحسن خلقه درجة الصائم والقائم»[٢٣]. وختم كل ذلك بقول الرسول الكريم: «بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق»[٢٤]، واتصف هو بذلك: «إن خلق رسول الله ﷺ كان القرآن»[٢٥] أي كان متمسكًا به وبآدابه وأوامره ونواهيه وما يشتمل عليه من المكارم والمحاسن والألطاف».

ومن الأحاديث التي تشمل مجموعة من القيم الأخلاقية الكاشفة عن إحسان المعاملة: «كلّ سلامي من الناس عليه صدقة،كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين اثنين صدقة، وتعين الرجل على دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة

---

[٢٠] سورة القلم: ٤.

[٢١] ابن منطور: لسان العرب، مادة (خلق).

[٢٢] سنن ابن ماجة، كتاب الزهد، حديث رقم: ٤٢٤٦.

[٢٣] سنن أبو داود، كتاب السنة.

[٢٤] الشافعي، الموطأ، كتاب حسن الخلق، حديث رقم: ٨.

[٢٥] أبو داود: كتاب التطوع، حديث رقم: ١٣٤٢.

www.mtenback.com

الطيبة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة»[٢٦]. وإذا تأمل الإنسان ما حوى هذا الحديث من معانٍ وجد أنها تصب في حسن المعاملة ومساعدة الناس والاهتمام بهم والإحسان إليهم.

ولا عجب في أن يعدّ هذا النبع النبويّ أخصب ما يعتمد عليه في بيان المبادىء الأخلاقية، فنص على أن حسن الخلق نصف الدين وأنه وعاؤه، وقد كرر في أكثر من موضع أن الإسلام يحثّ على مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، واستنهض الربط بين حسن المعاملة وثقة الناس في المرء فصار أشرف الإيمان أن يأمنك الناس وأشرف الإسلام أن يسلم الناس من لسانك ويدك. لأن أفضل الإيمان أن تحب للناس ما تحب لنفسك، وتكره لهم ما تكره لنفسك وأن تقول خيرًا أو لتصمت[٢٧] وكل ذلك تسويغ لحسن المعاملة ودعوة للعمل مع الناس بالحسنى، والتحبب لهم والتقرب منهم.

وتدل الأحاديث النبوية على أن «ما نسميه الأخلاق والواجبات - شخصية كانت أو اجتماعية - هي من خصال الإيمان وأجزائه المتممة له، وأنه على قدر ما يتوفّر في الشخص من هذه الأخلاق والواجبات تتوفّر فيه شعب الإيمان وخصاله، فليزدد المؤمن الموفّق من ذلك أو لينقص»[٢٨].

ومما يروى عن حث الرسول الكريم على تحسين الخلق قوله لمعاذ ناصحًا: «حسّن خلقك للناس»[٢٩]، وكان هو نفسه أسوةً في حسن معاملته، والمرويات في

---

[٢٦] النووي، محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف: رياض الصالحين من كلام سيّد المرسلين، نشر: رضوان محمد رضوان، بيروت، دار الكتاب العربي، ط١، (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م) ص١٢٦-١٢٧. والسّلامى: عظام الأصابع في اليد والقدم.

[٢٧] نقلاً عن: المغربي: الأخلاق والواجبات، ص٢٨-٣١.

[٢٨] المغربي: الأخلاق والواجبات، ص ٣١

[٢٩] الشافعي: الموطأ، كتاب حسن الخلق، حديث رقم: ١.

www.mtenback.com

ذلك متنوعة، منها أنه كان في بعض أسفاره وعليه رداءٌ نجرانيّ غليظ الحاشية، فجاء رجل فجبذه بردائه حتى أثرت حاشية الرداء في عنقه،وقال: يا محمد مُر لي من مال الله الذي آتاك، فلست تأمر لي بمالك ولا بمال أبيك، فالتفت إليه النبي ﷺ وقال: «مروا له»، ولم يكلمه بشيء[٣٠]، ولم ينهره ولا أساء معاملته.

ويروى أيضا أن خيل رسول الله ﷺ أسَرت سفانة بنت حاتم الطائي، فأتوه بها فقالت: يا محمد، هلك الوالد، وغاب الرافد، فإن رأيت أن تخلي عني، فلا تشمت بي أحياء العرب، فإني بنت سيد قومي، كان أبي يفك العاني، ويحمي الذمار، ويقري الضيف، ويشبع الجائع، ويفرّج عن المكروب، ويطعم الطعام، ويفشي السلام، ولم يرد طالب حاجة قط، أنا بنت حاتم الطائي، فقال لها رسول الله ﷺ: «يا جارية، هذه صفة المؤمن، لو كان أبوك حيّا لترحّمنا عليه، خلّوا عنها، فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق، والله يحب مكارم الأخلاق» ثم أسلمت هي وأخوها عدي بن حاتم[٣١].

ولا شك أن المتأمل في أخلاق العرب وفضائل نفوسهم سيجد من الأمثلة على وعيهم التام لقيمة حسن المعاملة ما يبرهن على أعمالهم، وما يتصل بحياة الناس ونورد هنا قول محمد بن الحنفية الذي يظهر مدى ما يجب على الإنسان أن يعمله حتى مع الذين لا تروق له معاملتهم ولا يستطيع أن يقبل تصرفاتهم فقد روي عنه قوله حاثًّا على حسن المعاملة: «ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف، من لم يجد من معاشرته بدّا، حتى يجعل الله له من ذاك فرجًا ومخرجًا».

---

[٣٠] الطرطوشي: سراج الملوك، ص٢٧٢. وجبذه أي جذبه.

[٣١] الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين: الأغاني تحقيق: على محمد البجاوي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر (١٣٨٩هـ/١٩٧٠م)، ج١٧، ص٣٦٤-٣٦٥؛ جاد المولى، محمد أحمد بالاشتراك مع البجاوي وأبي الفضل: قصص العرب، القاهرة، الحلبي، ط٣ (١٩٥٤-١٩٥٦م) ج١، ص١٨٢-١٨٣ وتكرر في المرجع نفسه، ج٢،ص ٨٩.

www.mtenback.com

ومما حث عليه الفكر العربي تسويغ حسن المعاملة حتى في القصص على لسان الإنسان والحيوان مثلما نقل في كليلة ودمنة قول الحكيم الهندي في بيانه عن المحاسن الإنسانية: «إني وجدت الأمور التي اختصّ بها الإنسان من بين سائر الحيوان أربعة أشياء، وهي جماع ما في العالم، وهي الحكمة والعفة والعقل والعدل.

والعلم والأدب والرويّة داخلة في باب الحكمة، والحلم والصبر والوقار داخلة في باب العقل، والحياء والكرم والصيانة والأنفة داخلة في باب العفّة، والصدق والإحسان والمراقبة وحسن الخلق داخلة في باب العدل. وهذه هي المحاسن. وأضدادها هي المساوئ، فمتى كملت هذه في واحد لم يخرجه النقص من نعمته إلى سوء الحظ من دنياه ولا إلى نقص من عقباه»[٣٢].

إن حسن المعاملة خليقة طبع عليها أناس هيّأ الله تعالى نفوسهم للخير واستشرافه. ولا جدال في أن حسن معاملة الإنسان للآخرين أن يكون قدوة يُتَأَسّى بها، وحسن المعاملة للآخرين تقتضي أن يكون المرء مهيئًا نفسه لضروب من الاستعداد المكتسب بالدربة والخبرة والصبر على ما يرد أن يراه سائداً فيمن تربطه به صلة أو علاقة، وأول ذلك أن يرى ما يكره من الناس فلا يعاملهم بمثله يقول الشاعر[٣٣]:

إِذَا عِبْتَ أَمْرًا فَلاَ تَأْتِهِ ... فَذُو اللُّبِّ مُجْتَنِبٌ مَا يَعِيْبُ

ويقول الآخر يهجو الذي ينصح غيره ويعظه وينهاه عن الذميم من الأفعال ولكنه سادر في غيّه محروم من السداد[٣٤]:

يَاأَيُهَا الرَّجُلُ المعَلِّمُ غَيْرَهُ ... هَلاَّ لِنَفْسِكَ كَانَ ذَا التَّعْلِيْمُ

---

[٣٢] ابن المقفع، أبو محمد عبد الله بن داذويه: كليلة ودمنة، بيروت، مكتبة الحياة (١٩٨٣م)، ص٢٦-٢٧.

[٣٣] الميداني: مجمع الأمثال، ج٢، ص ٢٣٨.

[٣٤] الطرطوشي: سراج الملوك، ص ٢١٧.

www.mtenback.com

تَصِفُ الدَّواءَ لِذِي السَّقَامِ وَذِى الضَّنَا ... كَيْمَا يَصِحَّ بِهِ وَأَنْتَ سَقِيْمُ
مَا زِلْتَ تُلْقِحُ بِالرَّشَادِ عُقُولَنَا ... عِظَةً وَأَنْتَ مِنَ الرَّشَادِ عَدِيْمُ
ابْدأْ بِنَفْسِكَ فَانْهَهَا عَنْ غَيِّهَا ... فَإِذَا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيْمُ
فَهُنَاكَ يُقْبَلُ مَا تَقُوْلُ وَيُقْتَدَى ... بِالرَّأْيِ مِنْكَ وَيَنْفَعُ التَّعْلِيْمُ
لاَ تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِيَ مِثْلَهُ ... عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيْمُ

وقد نهى الحكماء عمّا يلجئ المرء إلى التنصل والإعتذار فقالوا: «إياك وما يعتذر منه»[٣٥] وفي هذا جماع كل سلوك طيب ومعاملة حسنة، ويقترب من معناه كلمات أخرى كثيرة فيها الدعوة إلى تجميل النفس من مثل: «خير الناس للناس خيرهم لنفسه»[٣٦] وفي الحديث: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»[٣٧] وهذا إيجاز بالغ الدلالة على مايلزم اتباعه من حسن المعاملة، وهناك أقوال أخرى فيها تفصيل وتوضيح، من مثل حث النبي ﷺ على إكرام الضيف وصلة الأقارب والقول الخيّر الذي لابديل له سوى الصمت خشية أن ينال المستمعين الأذى، قال الرسول الكريم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»[٣٨] وهذه مرحلة سامية من حسن التعامل وأخذ الأهبة لأشكال من صلات الناس وعلاقاتهم، حيث يجب الإحسان إمّا بالفعل وإما بعدم إيذاء شعورهم وعدم تنغيص

---

[٣٥] الميداني: مجمع الأمثال، ج ١، ص٤٤.

[٣٦] الميداني: مجمع الأمثال، ج١، ص ٤٤٨.

[٣٧] صحيح البخاري، باب: ٤، حديث رقم: ١٠.

[٣٨] ابن حجر: فتح الباري، ج١، ص٤٢٣ - ٤٢٤؛ النووي، رياض الصالحين، ص٣٠٠.

www.mtenback.com

الصله بهم، كما أن مراعاة آداب المجالسة واجبة لتمتين روابط المعاشرة لذا، فقد قال أحد الفزاريين[٣٩]:

أُكْنِيهِ حِيْنَ أُنَادِيهِ لأُكْرِمَهُ ... وَلاَ أُلَقِّبُهُ وَالسَّوْأَةُ اللَّقَبَا

كَذَاكَ أُدِّبْتُ حَتَّى صَارَ مِنْ خُلُقِي ... أَنِّي وَجَدْتُ مِلاَكَ الشِّيْمَةِ الأَدَبَا

وقد سبقت الإشارة إلى أن حسن المعاملة طبيعةٌ وسجية لمعظم الناس، ولكنها بلاشك تحتاج إلى أن تصقل بالعمل، وذلك ماتدعو إليه الفطر السليمة والعقول الصافية، يقول بعض الحكماء مفرقًا بين العلم الذي هدفه النفع المحض، والعلم الذي غايته صقل العقول وتهذيبها: «حبب إلى نفسك العلم حتى تلزمه وتألفه ويكون هو لهوك ولذتك وسلوتك وتعللك وشهوتك. واعلم أن العلم علمان علمٌ للمنافع وعلمٌ لتذكية العقول، وأفشى العلمين منفعة وأحراهما أن ينشط له صاحبه من غير أن يحض عليه علمُ المنافع، والعلم الذي هو ذكاء العقول وصِقالها وجلاؤها له فضيلة منزلةٍ عند أهل الفضيلة والألباب»[٤٠].

ومن يحسن معاملة الآخرين يحتاج إلى قدر وافر من الحصافة أي جودة الرأي واستحكام العقل، وهو مايعبر عنه أيضا بالزكانة أي الفراسة والحفظ والضبط والحدس الصادق[٤١]، أو بالكياسة أي العقل والفطنة والظرف. ولذا يوصف الرجل

---

[٣٩] أبو تمام: ديوان الحماسة، ج٢، ص٢٧. أكنيه: أي أناديه بكنيته مفخمًا لشأنه، يقال: كناه وأكناه بأبي فلان، السوأة: الفَعلة أو الخَلّة القبيحة، ملاك الشيء: قوامه وخلاصته، الشيمة: الخلق

[٤٠] ابن المقفع، أبومحمد: الأدب الكبير، تحقيق: أحمد زكي باشا، القاهرة، مدرسة محمد علي الصناعية، ط١، (١٣٣٠هـ/١٩١٢م)، ص ٨٨.

[٤١] ابن منظور: لسان العرب، ج١٧، ص٥٩-٦٠، وعن محاسن الزكانة ومساويه انظر البيهقي، إبراهيم بن محمد: المحاسن والمساوئ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار نهضة مصر (١٩٦١م)، ج١، ص٥١٩-٥٢٠

www.mtenback.com

بأنه كيِّس إذا كان حسن الأدب يجري في الأمور مجرى الرفق بها، وتوصف الأنثى بأنها كيسة [٤٢].

ومن الحكايات التي اهتمت بها المصادر ودلت على الكياسة أن الوزير علي بن عيسى كان متزمتًا متخشعًا - أي يفرط في الالتزام بالجدية التامة - وكان يحب أن يبين فضله في هذا على كل أحد، فدخل إليه يومًا أبو عمر القاضي، وعلى أبي عمر قميصٌ فاخر، فأراد الوزير أن يخجله، فقال له: يا أبا عمر، بكم اشتريت هذا القميص؟

فقال: بمائتي دينار. فقال الوزير: ولكني اشتريت هذه الدُّراعة[٤٣] وهذا القميص الذي تحتها بعشرين دينارًا. فقال له أبو عمر بالحال: الوزير - أعزّه الله - يُجمّل الثياب، ولايحتاج إلى المبالغة فيها، ونحن نتحمل بالثياب فنحتاج إلى المبالغة فيها، لأننا نلامس- أي نخالط- العوام ومن نحتاج إلى التفخيم عليهم وإقامة الهيبة في نفوسهم بها، والوزير - أيده الله- يخدمه الخواص أكثر من خدمة العوام، ونعلم أنه يدع هذا عن قدرة. فكأنما ألقم الوزير حجرًا، فسكت عنه[٤٤].

ومن علامات حسن المعاملة: البشاشة وانفراج الأسارير واستقبال الناس بملامح تحمل التفاؤل والبشر، ورد في الحديث: «تبسُّمك في وجه أخيك صدقة»[٤٥] وقال بعض الصحابة: «ماحجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت، ولا رآني إلا تبسم»[٤٦] «وكان رسول الله ﷺ قد وسع الناس بسطه وخلقه»[٤٧] وذلك لعظم أدبه وكمال

---

[٤٢] ابن منظور: لسان العرب مادة (كيس)، ج٨، ص٨٥

[٤٣] الدُّراعة: ضرب من الثياب التي تلبس، وقيل جبّة مشقوقة المقدم، (درع)، ج٩، ص٤٣٦.

[٤٤] التنوخي، أبو علي المحسّن بن علي بن محمد: نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق: عبود الشالجي، بيروت، دار صادر (١٣٩٢هـ/١٩٧٢م) ج١، ص٥١

[٤٥] الترمذي، الجامع، كتاب البر والصلة، باب: ٣٦، رقم الحديث: ١٩٥٦.

[٤٦] صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب ١٦٢، حديث رقم: ٣٠٣٥.

[٤٧] الترمذي، الشمائل، حديث رقم: ٧.

www.mtenback.com

وقاره عليه الصلاة والسلام. والسعادة لا تتم إلا بالمؤانسة، ولا بد في ذلك من المزاح المستعذب والأحاديث المستطابة والفكاهة المحبوبة، وإصابة اللذة التي تطبقها الشريعة، ويقدرها العقل حتى لايتجاوزها إلى الإسراف فيها ولايقصر عنها تهاونًا بها»[٤٨].

ومن اللازم أن يصدق الإنسان دائمًا ويتحاشى الكذب، لذا ينصح المثل فيقول: «لا تكذبنَّ ولا تَشَبَّهن» أي لاتكذب على غيرك ولا تتشبه بالكاذب[٤٩].

وقال بعضهم داعيًا إلى حفظ اللسان وصونه عن كل ما يجر إلى المثالب كالغيبة ونحوها: «اعلم أن لسانك أداة مُصْلَتة، يتغالب عليها عقلك وغضبك وهواك وجهلك، فكل غالب عليه مستمتع به وصارفه في محبته. فإذا غلب عليه عقلك فهو لك، وإن غلب عليه شيء من أشباه ما سميت لك فهو لعدوك. فإن استطعت أن تحتفظ به وتصونه فلا يكون إلا لك، ولايستولي عليه أو يشاركك فيه عدوك، فافعل»[٥٠].

ومن المتعين ترك الكبر والتباهي، والتحلي بالتواضع وخفض الجناح، يقول النبي ﷺ في الحث على الصدقة والتواضع: «مانقصت صدقة من مال، ومازاد الله عبدًا بعفو إلا عزا، وماتواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله»[٥١]. وقال علي رضي الله عنه يخص تواضع الأغنياء للفقراء بالثناء، وكذلك تيه الفقراء على الأغنياء ببعدهم عن التذلل لهم والتخشع: «ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء طلبًا لما عند الله وأحسنُ منه تيه الفقراء على الأغنياء اتكالاً على الله»[٥٢].

ويقول ابن المقفع في معاني الدعوة إلى التواضع: «إن استطعت أن تضع نفسك دون غايتك برتبة في كل مجلس ومقام ومقال ورأي وفعل، فافعل. فإنّ رفع الناس إياك

---

[٤٨] ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق، ص ١٤٧.

[٤٩] الميداني: مجمع الأمثال، ج٢، ص٢٣٨.

[٥٠] ابن المقفع: الأدب الكبير، ص٧٨-٧٩

[٥١] النووي رياض الصالحين، ص٢٦٧

[٥٢] الميداني: مجمع الأمثال، ج٢، ص٤٥٤ والتيه: الصلف والكبر.

www.mtenback.com

فوق المنزلة التي تحط إليها نفسك، وتقريبهم إياك إلى المجلس الذي تباعدت منه وتعظيمهم من أمرك ما لم تعظم، وتزيينهم من كلامك ورأيك وفعلك ما لم تزين ؛ هو الجمال»[٥٣].

ومن المطلوب أن يقيس الإنسان الآخرين حين يعاشرهم بمقدار ما لديهم من الصواب والحكمة وكرم الأخلاق: «لايمنعنك صغر شأن امرئ من اجتباء ما رأيت من رأيه صوابًا واصطفاء مارأيت من أخلاقه كريمًا، فإن اللؤلؤة الفائقة لا تهان لهوان غائصها الذي استخرجها»[٥٤].

ومن حسن المعاملة أن يكون الإنسان رفيقًا لين الجانب لطيف الفعل بعيدًا عن العنف والقسوة وفي الحديث النبوي: «إن الله يحب الرفق في الأمر كله»[٥٥]، «وما كان الرفق في شيء إلا زانه»[٥٦].

ومنه أيضًا العفو عن الشرفاء الأسخياء السّراة ذوي المروءة: «إن الله يحب أن يعفو عن زلة السريّ»[٥٧]. ذلك كله متصل بحسن المعاملة وما يجب أن يتحلى المرء به من أخلاق تحببه إلى الناس وتحبب الناس إليه، وتجعله مثلاً لغيره فيقتدي به من حوله ومن يعرفه ويراه.

وربما اقتضت بعض المواقف التغاضي وترك مالا يفيد، وتجنب التدخل في شؤون الآخرين كما في الأثر: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»[٥٨] وروي عن لقمان

---

[٥٣] ابن المقفع: الأدب الكبير، ص١٠١ - ١٠٢، وتحدث ابن مسكويه عن ضرر العجب والافتخار وروى في ذلك حكايات تهذيب الأخلاق، ص ١٦٣

[٥٤] ابن المقفع، أبو محمد عبد الله: الأدب الصغير، نشر: محمود إبراهيم هيبة، القاهرة، دار التقدم (١٩١٢)، ص ٢٨.

[٥٥] صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ٣٥، حديث رقم: ٦٠٢٤.

[٥٦] صحيح مسلم، كتاب البر، باب ٢٣، حديث رقم: ٦٦٠٢.

[٥٧] السيوطي: الجامع الكبير، المكتبة التجارية، مكة، (١٩٩٤م)، ٣٠٦/٢.

[٥٨] الترمذي: الجامع، كتاب الزهد، باب ١١، حديث رقم: ٢٣١٨.

www.mtenback.com

الحكيم أنه سئل: « أي عملك أوثق؟ فقال: تركي ما لا يعنيني» وقال رجل للأحنف: «بما سُدْتَ قومك؟ وأراد عيّه، فقال الأحنف: بتركي من أمرك ما لا يعنيني، كما عناك من أمري ما لا يعنيك» وقال أيضًا: «مادخلت بين اثنين قط حتى يكونا هما يدخلاني في أمرهما، ولا أقمت عن مجلس قط، ولا حجبت عن باب، يريد لا أجلس إلا مجلسًا أعلم أني لا أقام عن مثله، ولا أقف على باب أخاف أن أحجب عن صاحبه»[٥٩].

وإذا عرض شك في أمر من الأمور فيجب الحذر من التسرع والحكم بما زينه هذا الشك، وقد ورد في التحذير من ذلك: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث»[٦٠] ولذا فإن حسن الظن هو المستحب لما يبنى عليه من عمل صالح وسلوك إنساني رفيع حيث إن حسن الظن بالناس يجعل التعامل معهم على مقدار حسن الظن بهم. وفي هذا المعنى جاء قولهم: «من جعل لنفسه من حسن الظن بإخوانه نصيبًا أراح قلبه» وهي دعوة لحسن الظن بالصديق عند ظهور الجفاء منه، فإذا ما وجد الإنسان من الآخرين إعراضًا أو تغيرًا فحمله منهم على وجه حسن وطلب لهم المخارج والأعذار خفف عن قلبه وقل غيظه[٦١]. فلم يحمل عليهم الحقد ولا البغضاء.

والإحساس بالآخرين من علامات حسن المعاملة وأشكاله المتميزة، وهو إحساس يتوخى الاهتمام بمشكلاتهم ومشاركتهم فيها والعمل على حلها: «فقد جاء في الأثر: من أصبح لايهتم بالمسلمين فليس منهم» وروي أن عمارًا استأذن على النبي، فعرف صوته فقال: «مرحبًا بالطيب المطيب»[٦٢] و«كان رسول الله ﷺ إذا صافحه الرجل لا ينزع يده من يده حتى يكون الرجل ينزع، وإن استقبله بوجهه لا يصرفه عنه

---

[٥٩] الميداني: مجمع الأمثال، ج٢ ص٣١٧

[٦٠] النووي: رياض الصالحين، ص٥٦١.

[٦١] الميداني: مجمع الأمثال، ج٢، ص٣١٩

[٦٢] الترمذي: المناقب، حديث رقم ٢٧٩٩.

www.mtenback.com

حتى يكون الرجل ينصرف...»[٦٣] وروي أنه لما بُعث النبي أتاه جرير بن عبدالله البجلي، فقال له النبي: «ما جاء بك؟ قال: جئت لأسلم، فألقى إليه كساءه، فقال: إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه»[٦٤].

وكل هذه الآثار تدل على حسن المعاملة والحث العملي عليها وتمييز ما تتركه في النفس من أثر حسن وقبول لدى الآخرين، وقد نشاهد في الحياة المعاصرة ما يتركه حسن المعاملة من آثار على بنية المجتمع وتهذيب سلوكه وأخلاقه وتقوية الصلات الاجتماعية بين الناس دون أن يتكلف الإنسان جهدًا ماديًا فحسبه أن تكون صلاته بالناس مقبولة وتعامله معهم مؤدبًا وأخلاقه هينة رضية.

أما المثل الأعلى للتعامل بالحسنى فجاء في هذه الجملة الجميلة التي تقوم على المساواة واتخاذ النفس مقياسًا لعمل الخير: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه»[٦٥].

وقد كثرت الأقوال الحكيمة التي تحث على نصرة الناس ومساعدتهم ولو بأقل القليل مثل: «أعن أخاك ولو بالصوت»[٦٦] وربما زاد الصديق في الشفقة على الأخ من الأب والأم، لذا تقتضي حسن المعاملة المحافظة على الأصدقاء: «رب أخ لك لم تلده أمك»[٦٧] وقيل في الحث على رعاية العهد: «حافظ على الصديق لو في الحريق»[٦٨] وإذا جالس الإنسان صديقه فينبغي أن يحذر مما يغضبه أو يكدر عليه صفوه، أو يشعره بأنه يغبطه على ما فيه من نعمة ويسر حال ، ولذلك قالوا: «قد رأينا من سوء المجالسة أن

---

[٦٣] أخرجه الذهبي في اليسر، وعزاه للصنوبري في المعرفة والتاريخ، ج٢١، ص٣٨٨، من السيرة النبوية.

[٦٤] سنن ابن ماجة، حديث رقم: ٣٧١٢.

[٦٥] ابن حجر: فتح الباري، ج١، ص١٢٩ -١٣٠؛ النووي: رياض الصالحين، ص١٢٢.

[٦٦] الميداني: مجمع الأمثال، ج٢ ص٣٠.

[٦٧] ورد هذا المثل وقصته الطويلة الطريفة في المصدر نفسه، ج١، ص٢٩١-٢٩٢.

[٦٨] الميداني: مجمع الأمثال، ج١، ص٢٠٣.

www.mtenback.com

الرجل تثقل عليه النعمة يراها بصاحبه فيكون ما يشتفي بصاحبه في تصغير أمره وتكدير النعمة عليه أن يذكر الزوال والفناء والدول،كأنه واعظ وقاص، فلا يخفى ذلك على من يعنى به، ولا غيره، ولا ينزل قوله بمنزلة الموعظة والإبلاغ ولكن بمنزلة الضجر من النعمة إذا رآها لغيره والاغتمام بها..»[٦٩] وهذا الملمح في التعامل من أدق ملامح الحياة التي قد لا يدركها أكثر الناس اليوم ولا يعبؤون بها حيث فطن أسلافنا العرب إلى دقة الواجب نحو الآخرين حتى في الحديث العابر أو ما يمكن أن يتبادر إلى ذهن السامع وإن لم يكن قد قصد السوء به، وهو أمر احترازي عمّا يسيء أو يؤلم السامع والمجالس ولا يعدل المودة الخالصة شيء، فمن منحك مودته فكأنما منحك روحه، يقول المثل: «من محضك مودته، فقد خولك مهجته»[٧٠].

وقال شاعر يفتخر بصداقاته التي يتمسك بها لاعتماده عليها في مغالبة الشدائد، ومدافعة الشرور[٧١]:

تَشَاقَلتُ إلاَّ عَن يَدٍ أَسْتَفِيدُها ... وَخُلَّةِ ذِي وُدٍّ أَشُدُّ بِهِ أَزرِي

وصرح آخر بأنه يغضي ويحافظ على المودة وينتظر العتبى ويلاين أحيانًا ويغالظ أحيانا أخرى استبقاءً لحسن الصلات[٧٢]:

---

[٦٩] ابن المقفع: الأدب الكبير، ص١٢٩.

[٧٠] الميداني: مجمع الأمثال، ج٢، ص٣١٨ ويقال محضته الود وأمحضته إذا أخلصت له المودّة، المهجة: الروح أو دم القلب، خوّله الشيء: أعطاه إيّاه متفضّلاً.

[٧١] أبو تمام: ديوان الحماسة، ج٢، ص٤٦ واليد: النعمة، آزره على أمره: عاونه عليه.

[٧٢] الحموي، أبو عبدالله يا قوت بن عبدالله: معجم الأدباء، القاهرة،دار المأمون (١٩٣٦م) ترجمة: علي ابن القاسم القاشاني ج١٤، ص١٠٤ واقتصرت: كففت ونزعت عن الشيء وأنا أقدر عليه، البغضة: المقت والكراهية، الحفائظ: جمع الحفيظة وهي الحمية أو الحذر وأهل الحفائظ هم المدافعون عن أعراضهم، العُتبى: الرضا والرجوع عن الذنب والإساءة، ألاين: ألاطف أو أداهن، أغالظ: أعادي.

www.mtenback.com

وَإِنِّي وَإِنْ أَقْصَرْتُ عَنْ غَيْرِ بَغْضَةٍ ... لَرَاعٍ لأَسْبَابِ المَوَدَّةِ حَافِظُ
وَمَازَالَ يَدْعُونِي إِلى الصَّدِّ مَا أَرَى ... فَآبَى وَيَثْنِينِي إِلَيكَ الحَفَائِظُ
وَأَنْتَظِرُ العُتْبَى وَأُغْضِي عَلَى القَذَى ... أُلاَيِنُ طَوْرًا فِي الهَوَى وَأُغَالِظُ

في التراث الأخلاقي العربي بيان للمرء المثالي في حسن تعامله وجمال تأتّيه لأمور الحياة على اختلاف جوانبها، مما جعل هذا التعامل نموذجًا يحتذى ومطمحًا لمن يريد أن يتجمل ويتحلى بكل طيب، يقول النص: «إني مخبرك عن صاحب لي، كان من أعظم الناس في عيني، وكان رأس ما أعظمه في عيني صغر الدنيا في عينه. كان خارجًا من سلطان بطنه، فلا يشتهي ما لا يجد ولا يكثر إذا وجد. وكان خارجًا من سلطان فرجه، فلا يدعوه إلى ريبة ولا يستخف له رأيًا ولا بدنًا. وكان خارجًا من سلطان لسانه، فلا يقول ما لا يعلم ولا ينازع فيما يعلم. وكان خارجًا من سلطان الجهالة، فلا يقدم أبدًا إلا على ثقة بمنفعة. كان أكثر دهره صامتًا، فإذا نطق بذ الناطقين. كان يرى متضاعفًا مستضعفًا، فإذا جد الجد كان كالليث عاديًا. كان لا يدخل في دعوى، ولا يشترك في مراء، ولا يدلي بحجة حتى يرى قاضيًا عدلاً وشهودًا عدولاً. وكان لا يلوم أحدًا على ما قد يكون العذر في مثله حتى يعلم ما اعتذاره. وكان لا يشكو وجعًا إلا إلى من يرجو عنده البرء. وكان لا يستشير صاحبًا إلا من يرجو عنده النصحية. وكان لا يتبرم ولا يتسخط ولا يتشهّى. وكان لا ينقم على الولي، ولا يغفل عن العدو، ولا يخص نفسه دون إخوانة بشيء من اهتمامه وحيلته وقوته. فعليك بهذه الأخلاق إن أطقت - ولن تطيق - ولكن أخذ القليل خير من ترك الجميع»[٧٣].

وعلى الجملة فإن «على العاقل أن يتفقد محاسن الناس ويحفظها ويحصيها.. وعلى العاقل ألا يخادن ولا يصاحب ولا يجاور من الناس ما استطاع إلا ذا فضل في الدين

[٧٣] ابن المقفع: الأدب الكبير، ص١٢٩ - ١٣١؛ الطرطوشي: سراج الملوك، ص٢٧٨.

www.mtenback.com

والعلم والأخلاق..» [٧٤]. و«أفضل ما يورّث الآباء الأبناء الثناء الحسن والأدب النافع والإخوان الصالحين»[٧٥].

وإذا كانت المأثورات كثيرة عن حسن معاملة الأصدقاء استبقاءً للمودة، فإنها أيضًا كثيرة عن الجيران وما تتطلبه معاشرتهم، من الأحاديث النبوية في ذلك قوله: «مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»[٧٦].

وقوله: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن: قيل من يارسول الله؟ قال: الذي لايأمن جاره بوائقه»[٧٧]. وقوله: «خير الأصحاب عند الله تعالى خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند ا لله تعالى خيرهم لجاره»[٧٨]. ومن دلائل المراعاة، وتحاشي الإيذاء وتوقي إلحاق الضرر بالناس جميعًا قوله ﷺ: «من مر في شيء من مساجدنا أو أسواقنا، ومعه نَبْل، فليمسك على نصالها أو قال فليقبض على نصالها بكفه، أن يصيب أحدًا من المسلمين منها بشيء»[٧٩]. ويجمل بمن يؤم المصلين أن يخفف ويترك التثقيل حتى لايشق على بعض المأمومين ممن لايتحملون الوقوف الطويل، «فإن فيهم الضعيف والسقيم والكبير، وإذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ماشاء»[٨٠].

ومن الناس طغام يكثرون من الثلب والطعن ويضمرون الشر وهؤلاء ينبغي التنبه لهم ومعاملتهم بما يليق بهم، قال عثمان رضي الله عنه: «إن لكل شيء آفة، ولكل نعمة عاهة، وإن آفة هذا الدين وعاهة هذه النعمة عيَّابون طعَّانون، يُظهرون

---

[٧٤] ابن المقفع: الأدب الصغير، ص١٥

[٧٥] المرجع السابق، ص٢٧.

[٧٦] النووي: رياض الصالحين، ص١٤٨

[٧٧] وفي رواية: لا يدخل الجنّة من لا يأمن جاره بوائقه، المرجع نفسه، ص١٤٩ والبوائق: الغوائل والشرور.

[٧٨] نفسه، ص١٥٠.

[٧٩] انظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الفتن دار الدعوة ودار سحنون، ج٨، ص٩٠. والنبل: السهام، النصال: جمع نصل، وهو حديد السهم والرمح.

[٨٠] نفسه، ص١٢٠.

www.mtenback.com

ماتحبون، ويُسرون ماتكرهون، طَغام مثل النعام، يتبعون أول ناعق»، ولكن للخصومة قواعد، ومن الحصافة ألا يتمادى المرء في عداوته وألايتهاون فيضيع حقوقه قال علي رضي الله عنه: «من بالغ في الخصومة أثم، ومن قصر فيها ظلم»[٨١].

ومن آكد مظاهر حسن المعاملة: معاونة الآخرين ومساعدتهم وبخاصة عند الشدائد، روي أن الرسول ﷺ قال: «انصر أخاك ظالمًا أو مظلوما» فقال رجل: «يارسول الله أنصره إذا كان مظلومًا، أرأيت إن كان ظالما كيف أنصره؟ قال: «تحجزه أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره»[٨٢].

وفي الحث على مراعاة حسن المعاملة جاء قولهم: «إن أخاك من آساك»[٨٣] أي أن الأخ الحقيقي من قدمك وآثرك على نفسه.

وفي المعنى نفسه يقول الراجز [٨٤]:

إِنَّ أَخا الهَيْجَاءِ مَنْ يَسْعَى مَعَكْ
وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكْ

وقد نوه أحد الشعراء بتسامحه وعفوه عما بدر من بعض أصدقائه، فقال[٨٥]:

إِنِّي إِذَا مَا صَاحِبِي تَعَدَّى
فِي اللَّوْمِ وَالعَذْلِ عَلَيَّ جِدَّا

---

[٨١] الميداني: مجمع الأمثال، ج٢، ص ٤٥٣ والطغام: أرذال الناس وأوغادهم – الناعق الصائح الزاجر، يقال: نعق الراعي بغنمه.

[٨٢] النووي: رياض الصالحين، ص١٢٢.

[٨٣] الميداني: مجمع الأمثال «وفيه قصة هذا المثل» ج١، ص٧٢.

[٨٤] نفسه، ج١، ص٣٤.

[٨٥] قائل هذا الرجز هو يوسف بن القاسم، الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى: أخبار الشعراء، نشر: هيوارث دق، القاهرة، الصاوي، ط١ (١٩٣٤م) ص١٦٠.

www.mtenback.com

وَلَـمْ أُبقِّـي فِـي احتِمَـال جَهْـدَا
فَـإِنْ أَبَـى إلاَّ التَّعَـدِي عَمْـدَا
أَوْ سَـعْتُهُ بِـالحِلْمِ مِنِّـي صَـدَّا
حَتَى يَـرَى وَجْـهَ اخْتِيَـارِي سَـدَّا
وَيَرْجِـعُ الـذَّمُ إِلَـيَّ حَمْـدَا

ويؤكد آخر أن مخاصمة الناس لاتجدي، والذي يحسن ترك الغضب وتحمل قسوتهم، قال [٨٦]:

لاَ تَغْضَبَـنَّ عَلَـى قَـوْمٍ تُحِبُّهُـمُ ... فَلَيْسَ مِنْكَ عَلَيْهِمْ يَنْفَـعُ الغَضَـبُ
وَلاَتُخَـاصِمْهُمْ يَوْمًـا وَإِنْ ظَلَمُـوا ... إِنَّ الوُلاَةَ إِذَا ما خُوْصِمُـوا غَلَبُـوا
يَاجَائِرِيْنَ عَلَيْنَـا فِـي حُكُوْمَتِهِـمْ ... والَجوْرُ أَقْبَـحُ مـايُؤْتَى وَيُرْتَكَـبُ
لَسْنَا إِلى غَـيْرِكُم مِنْكُـم نَفِـرُّ إِذَا ... جُرْتُمَ وَلَكِن إِلَيْكُمْ مِنْكُـمُ الهَـرَبُ

وفي الدعوة إلى السيطرة على النفس وتحاشي حدة الغضب وغيره من المساوئ يقول ابن المقفع: «احترس من سورة الغضب، وسورة الحمية، وسورة الحقد، وسورة الجهل، وأعدد لكل شيء من ذلك عُدّة تجاهده بها من الحلم والتفكر والروية وذكر العاقبة وطلب الفضيلة واعلم أنك لاتصيب الغلبة إلا بالاجتهاد والفضل، وأن قلة الإعداد لمدافعة الطبائع المتطلعة هو الاستسلام لها، فإنه ليس أحد من الناس إلا وفيه من كل طبيعة سوء غريزة، وإنما التفاضل بين الناس في مغالبة طبائع السوء»[٨٧].

---

[٨٦] الحموي: معجم الأدباء، ترجمة: المؤمل بن أميل بن أسيد المحاربي، ج١٩، ص٢٠٤.

[٨٧] ابن المقفع: الأدب الكبير، ص٨٤-٨٥

www.mtenback.com

وفي الدعوة إلى الصبر يقول: «ذلل نفسك بالصبر على جار السوء وعشير السوء وجليس السوء، فإن ذلك مما لايكاد يخطئك، واعلم أن الصبر صبران: صبر المرء على ما يكره وصبره عما يحب، والصبر على المكروه أكبرهما وأشبههما أن يكون صاحبه مضطرًا، وأعلم أن اللئام أصبر أجسادًا وان الكرام هم أصبر نفوسًا»[٨٨].

ومن التوجيهات الربانية أن يزيل الإنسان بإحسانه كل ماتورط فيه من الزلل، ولن يتأتى ذلك إلا بالحسن من الأقوال والأفعال، وقد ورد في ذلك آيات قرآنية متعددة منها:

﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾[٨٩].

وقوله: ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[٩٠].

وقوله: ﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[٩١].

وقوله: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[٩٢].

---

[٨٨] ابن المقفع: الأدب الكبير ، ص ٨٦.

[٨٩] سورة المؤمنون: آية ٩٦.

[٩٠] سورة القصص: آية ٥٤.

[٩١] سورة فصلت: آية ٣٤.

[٩٢] سورة النحل: آية ١٢٥.

www.mtenback.com

ومن العيوب الفادحة أن يعمد الإنسان إلى التعنيف والتقريع الذي لا يفيد شيئًا وقد يضر بعلاقات الناس ويزيد مشكلاتهم، وقد قيل في الأمثال: «دع اللوم فإن اللوم عون النوائب»[٩٣].

ومن حسن المعاملة ألا يمتن الإنسان إذا أعطى، فالمنّة تفسد الصنيعه وتهدمها، ولا خير في المعروف إذا عدده صاحبه وأحصاه، وقد نهت العرب عن المنّ وذكر الحسنات والتذكير بالمعروف وجاء من حكمهم: «إذا اتخذتم عند رجل يدًا فانسوها»، ويقول الشاعر منددًا بالمنان المفسد المضّيع لما أسداه من معروف[٩٤]:

أَفْسَدْتَ بِالمَنِّ ما أَصْلَحْتَ مِنْ يُسُرٍ ... لَيْسَ الكَرِيْمُ إذا أَسْدَى بِمَنّانِ

ومما قيل في ذم المنّ وكشف مساويه: «إذا كان لك عند أحد صنيعة أو كان لك عليه طول[٩٥]، فالتمس إحياء ذلك بإماتته وتعظيمه بالتصغير له. ولا تقتصرنّ في قلة المنّ على أن تقول: لا أذكره ولا أصغي بسمعي إلى من يذكره، فإن هذا قد يستحي منه بعض من لا يوصف بعقل ولا كرم، ولكن احذر أن يكون في مجالستك إياه وما تكلمه به أو تستعينه عليه أو تجاريه فيه شيء من الاستطالة، فإن الاستطالة تهدم الصنيعة وتكدّر المعروف»[٩٦].

وليس من حسن المعاملة أن يغدر المرء بمن يثق به ويطمئن إليه، وأن يبطن خلاف ما يبدي من النصيحة والحرص على الوفاء، ومن أطرف ما يصور رذيلة الغدر

---

[٩٣] الميداني: مجمع الأمثال، ج١، ص ٢٧٤

[٩٤] نفسه، ج١، ص ٢٩؛ ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري: عيون الأخبار، القاهرة، دار الكتب المصرية (١٣٤٩هـ/١٩٣٠م) ج٣، ص١٧٧ واليسر بضم السين وسكونها بمعنى السهولة واللين.

[٩٥] الطول بالفتح: المنّ، يقال منه: طال عليه وتطوّل عليه إذا امتنّ ابن منظور: لسان العرب (طول) ج١٣، ص٤٤٠

[٩٦] ابن المقفع: الأدب الكبير، ص٨٤

www.mtenback.com

المثل الشعبي القائل: «لا أحب تخديش وجه الصاحب»، وقصته أن العرب تزعم أن الثعلب رأى حجرًا أبيض بين لِصّبْين[٩٧] فأراد أن يغتال به الأسد، فأتاه ذات يوم فقال: يا أبا الحارث، الغنيمة الباردة، شحمة رأيتها بين لصبين فكرهت أن أدنو منها، وأحببت أن تتولى ذلك أنت، فهلمّ لأريكها.

وتتفاوت طبائع الناس، فعلى العاقل أن يتأنى في اختيار من يصاحب أو يجاور، يقول المثل: «الجار ثم الدار» وتقول العرب: الرفيق قبل الطريق[٩٨]. وفي كلا المثلين يحتاط الإنسان ممن ستربطه به الحياة فكل من الجوار والسفر يحتاج إلى نوع خاص من المعاملة، ويحتاج إلى الحذر الشديد من قرب الذين قد يضطرون المرء إلى الخروج عن سمته وما يأخذ نفسه به من أدب، إذا صحبهم أو جاورهم لا سيما أولئك الذين لا يحفظون حقوق الصحبة والجوار.

أما العدوّ أو الحاسد الذي يقدّر الإنسان سلفًا أمر عداوته أو حسده، فمن الحصافة أن يعامل بما هو أدعى إلى الحذر والتوقّي، وعن ذلك قيل: «ليكن ممّا تنظر فيه من أمر عدوّك وحاسدك أن تعلم أنه لا ينفعك أن تخبر عدوك أنك له عدوّ، فتنذره بنفسك، وتؤذنه بحربك قبل الإعداد والفرصة، فتحمله على التسلح لك وتوقد ناره عليه»[٩٩].

ومن العسير إرضاء الناس جميعهم وذلك للسبب نفسه، وهو اختلاف الطبائع. وفي هذا المعنى قيل: «إنك إن تلتمس رضا جميع الناس تلتمس ما لا يدرك، وكيف يتفق لك رأي المختلفين؟! وما حاجتك إلى رضا من رضاه الجور، وإلى موافقة من

---

[٩٧] اللّصب: شقّ أو مضيق في الجبل، الغنيمة الباردة: الهيّنة الطيبة أو الحاصلة بغير تعب (لسان العرب (برد) ج٤، ص٥١، الشحمة: القطعة من الشحم وهوالأبيض الدّهنيّ المسمّن من جسم الحيوان كسنام البعير.

[٩٨] وكلا المثلين مرويّ عن النبي ﷺ، المصدر نفسه، ج١، ص١٧٢

[٩٩] ابن المقفع: الأدب الكبير، ص ٩٠-٩١

www.mtenback.com

موافقته الضلالة والجهالة، فعليك بالتماس رضا الأخيار منهم وذوي العقل، فإنك متى تصب ذلك تضع عنك مؤونة ما سواه»[١٠٠].

وتحتاج معاملة الآخرين إلى قدر من المرونة والقدرة على التصرف مع كل امرئ بما يلائم مزاجه وثقافته، وعن ذلك قيل: «لا تجالسنّ امرأً بغير طريقته، فإنك إن أردت لقاء الجاهل بالعلم، والجافي بالفقه، والعَيِيّ بالبيان، لم تزد على أن تضيع علمك وتؤذي جليسك، بحملك عليه ثقل مالا يعرف، وغمك إياه بمثل ما يغم به الرجل الفصيح من مخاطبة الأعجم الذي لا يفقه عنه. واعلم أنه ليس من علم تذكره عند غير أهله إلاّ عابوه ونصبوا له ونقضوه عليك، وأبغضوك عليه وحرصوا على أن يجعلوه جهلاً، حتى إن كثيراً من اللهو واللعب الذي هو أخف الأشياء على الناس ليحضره من لا يعرفه، فيثقل عليه ويغتمّ به»[١٠١].

وفي معنى المرونة و ترك التفريط و الإفراط يقول المثل: «لا تكن رطبًا فتعصر، ولا يابسًا فتكسر»[١٠٢]. ومن المطاوعة ومجاملة الناس أن تسير فيما يرضيهم إذا كان ذلك مما لا ينقص شرف المرء أو مروءته وقد كررت الثقافة العربية حب المجاملة وحسن التعامل بألاّ تكون مخالفًا لما اعتاد الناس عليه.

والطريق القصد هو التوسّط بين الغلوّ والتقصير، ذلك أنّ الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة، و إفراط الأنس مكسبة لقرناء السوء، وهذا مثل قول الشاعر أيضا[١٠٣]:

إِنْ كُنْتُ مُنْبَسِطًا سُمِّيْتُ مَسْخَرَةً أَوْكُنْتُ مُنْقَبِضًا قَالُوا بِهِ ثِقَلُ

---

[١٠٠] ابن المقفع الأدب الكبير، ص١٣.

[١٠١] ابن المقفع: الأدب الكبير، ص ١١٧-١١٨.

[١٠٢] الميداني: مجمع الأمثال، ج٢، ص٢٥٩.

[١٠٣] ابن المقفع: الأدب الكبير، ج٢، ص ١٠٨.

www.mtenback.com

وَإِنْ أُعَاشِرْهُمْ قَالُوا لَهَيْبَتِنَا وَإِنْ أُجَانِبُهُمْ قَالُوا بِهِ مَلَلُ

ولو أراد المستقصي أن يتحدث عن كل الفضائل التي يحتاجها من يتصف بحسن المعاملة لأعياه الأمر لأنه سيضطر إلى أن يعرض لكل طيّب جميل يعتّد به في مجال العلاقات بين الناس.

وحسب المتحدث أن يذكر من هذه الفضائل - إلى جانب ما سبق - فضيلة الجود والعطاء، وقد قيل: «عوّد نفسك السخاء، واعلم أنهما سخاءان: سخاء نفس الرجل بما في يديه وسخاؤه عما في أيدي الناس. وسخاء نفس الرجل بما في يديه أكثرهما وأقربهما من أن تدخل فيه المفاخرة، وتركه ما في أيدي الناس أمحض في التكرّم وأبرأ من الدنس وأنزه، فإنْ هو جمعهما فبذلَ وعفّ فقد استكمل الجود والكرم»[١٠٤].

ومن المستحبّ أن يتهادى الأصحاب، وفي الأثر «تهادوا تحابّوا»[١٠٥]. فذلك أدعى إلى المودّة واستمالة الآخرين، وخصوصًا الأطفال تشجيعًا لهم على كل أمر يلزم أن يتحملّوا به، وإذا أهدى المرء شيئًا فيجب أن يهدي ما يليق.

ومن الإحسان أن يُثاب كلّ من يفعل شيئًا يستحق أن يجازى عليه؛ لأن «ترك المكافأة من التطفيف»[١٠٦] كما أن عدم الثأر للنفس وكرامتها من الدناءة، ولذلك فإن لفظ المكافأة يشمل المجازاة على الإحسان، كما يشمل الانتصاف لكرامة النفس، ومن أجل ذلك يقول العربي في حال المجازاة: «جزيته كيل الصاع بالصاع» إذا كافأت الإحسان بمثله والإساءة بمثلها، قال الشاعر[١٠٧]:

---

[١٠٤] ابن المقفع: الأدب الكبير، ص ٨٨- ٨٩

[١٠٥] الشافعي: الموطأ، كتاب حسن الخلق، حديث رقم: ١٦.

[١٠٦] الميداني: مجمع الأمثال، ج١، ص١٥١.

[١٠٧] الميداني: مجمع الأمثال،ج١، ص١٦٨ والصاع: مكيال تكال به الحبوب ونحوها.

www.mtenback.com

لاَ نَـــأْلَمُ الجَـــرْحَ وَنَجْـــزِي بِـــهِ ال أَعْـــدَاءَ كَيْـــلَ الصَّـــاعِ بِالصَّـــاعِ

وإذا كان حسن المعاملة في المجمل يعني معاملة الآخرين بما يحقق المودّة والخـــير، فإنه يعني أيضًا معاملة الإنسان نفسَه ورياضتها وتهذيبها، وها هو بعـــض النـــاصحين يرشد إلى الطريقة المثلى في إنجاز الأعمال ويحذر من اضطراب الأمور حـــين تتدافـــع الأشغال وتتراكم. قال: «إذا تراكمت عليك الأعمال، فلا تلتمس الروح (أي الراحـــة) في مدافعتها يومًا بيوم والروغان منها، فإنه لا راحة لك إلاّ في إصدارها، وإنّ الصـــبر عليها هو الذي يخففها عنك والضجر هو الذي يراكمها عليك. فتعهّد من ذلـــك في نفسك خصلةً قد رأيتها تعتري بعض أصحاب الأعمال، وذلك أن الرجل يكون في أمر من أموره فيرد عليه شغل آخر، أو يأتيه شاغل من الناس يكره إتيانه (تأخيره) فيكـــرر ذلك بنفسه تكريراً يفسد ما كان فيه وما ورد عليه حتى لا يحكم واحداً منهما. فـــإذا ورد عليك مثل ذلك، فليكن معك رأيك وعقلك اللذان بهما تختار الأمور، ثم اخـــبر أولى الأمرين بشغلك فاشتغل به حتى تفرغ منه، ولا يعظمن عليك فوت مـــا فـــات وتأخير ما تأخر»[١٠٨].

ومعاملة الإنسان نفسه من أشد الأمور عليه وأقواها انتقاضًا وأكثرها مشقة لأن النفس تميل بطبعها إلى الراحة والتسويف بقضاء الحاجات والواجبات فإذا لم يحســـن معاملتها وحملها على ما يجب عليها نحو الآخرين أو ما يتعلق بها من إنجاز مـــا هـــو مطلوب إنجازه، مالت إلى اللهو والدعة وارتاحت إلى المماطلة في الأعمـــال النافعـــة. وعندئذ قست على الطاعة وانحرفت عن تحقيق الغاية، وقد صدق أبو ذؤيـــب حـــين وصف ميل النفس وطباعها بقوله:

وَالنَّفْـــسُ رَاغِبَـــةٌ إِذَا رَغَّبْتَهَـــا وَإِذَا تُـــرَدُّ إِلى قَلِيْـــلٍ تَقْنَـــعُ

[١٠٨] ابن المقفع: الأدب الكبير، ص ١٠٥-١٠٦

www.mtenback.com

وأخذ المعنى البوصيري فزاد فيه وأحسن حين وصف النفس ومطالبها وطريقة التعامل معها بقوله[١٠٩]:

والنَّفْسُ كَالطِّفْلِ إِنْ تُهْمِلْهُ شَبَّ على حُبِّ الرَّضَاعِ وَإِنْ تَفْطِمُه يَنْفَطِمِ

وعند معاملة الآخرين ينبغي ألا يخدع الإنسان بالمظاهر البراقة المخادعة، بل المعوّل هو المخبر ونقاء الطويّة ورجاحة العقل.

ومن الحكايات ذات المغازي المعبرة عن حسن المعاملة للآخرين وإن كانوا غرباء ما رواه الوزير الأندلسي أبو بكر محمد بن الوزير أبي مروان عبد الله بن زهير قال: «بينما أنا قاعد في دهليز دارنا، وعندي رجل ناسخ، أمرته أن يكتب لي كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، إذ جاء الناسخ بالكراريس التي كتبها، قلت له: أين الأصل الذي كتبت منه لأقابل معك به؟[١١٠] قال: ما أتيت به معي».

فبينما أنا معه في ذلك إذ دخل الدهليز علينا رجل بذّ[١١١] الهيئة، عليه ثياب غليظة، أكثرها صوف، وعلى رأسه عمامة قد لائها[١١٢] من غير إتقان لها، فحسبته لما رأيته من بعض سكان البادية، فسلّم فقعد، وقال لي: «يا بني استأذن لي على الوزير أبي مروان». فقلت له: «هو نائم» هذا بعد أن تكلّفت جوابه غاية التكلّف، حملني على ذلك نزوة[١١٣] الصبا وما رأيت من خشونة هيئة الرجل، ثم سكت عني ساعة، وقال: «ما هذا الكتاب الذي بأيديكما؟».

فقلت له: ما سؤالك عنه؟

---

[١٠٩] البوصيري، محمد: بردة المديح، نشر مكتبة القاهرة، ص٧.

[١١٠] قابل الكتاب بالكتاب: عارضه.

[١١١] بذّ: سيئ الحال رث الهيئة.

[١١٢] لائها: لفّها وعصبها.

[١١٣] النزوة: التسرع والاندفاع والحدّة.

www.mtenback.com

فقال: أحب أن أعرف اسمه، فإني كنت أعرف أسماء الكتب.

فقلت: هو كتاب الأغاني.

فقال: إلى أين بلغ الكاتب منه؟

قلت: بلغ موضع «كذا».

وجعلت أتحدث معه على طريق السخرية به، فقال: «وما لكاتبك لا يكتب؟!».

قلت: طلبت منه الأصل الذي يكتب منه لأعارض[114] به هذه الأوراق

فقال: لم أجيء به معي.

قال: يا بني خذ كراريسك وعارض.

قلت: بماذا؟! وأين الأصل؟!

قال: كنت أحفظ هذا الكتاب في مدة صباي.

فتبسمت من قوله فلما رأى تبسمي، قال: يا بني، أمسك عليّ.

فأمسكت عليه، وجعل يقرأ، فوالله إن أخطأ واوًا ولا فاءً، قرأ هكذا نحوًا من كراستين، ثم أخذت له في وسط السِّفْر[115] وآخره، فرأيت حفظه في ذلك كله سواء.

فاشتد عجبي به وقمت مسرعًا حتى دخلت على أبي،فأخبرته بالخبر، ووصفت له الرجل، فقام كما هو من فوره، وكان ملتفًا برداء ليس عليه قميص، وخرج حاسر الرأس حافي القدمين، لا يرفق على نفسه، وأنا بين يديه، وهو يوسعني لومًا، حتى ترامى إلى الرجل وعانقه، وجعل يقبل رأسه ويديه ويقول: «يا مولاي، اعذرني، فوالله ما أعلمني هذا الجِلْف[116] إلا الساعة».

---

[114] يقال: عارض الكتاب بالكتاب أي قابله به

[115] السِّفْر: الكتاب أو الكتاب الكبير

[116] الجلف: الغليظ الجافي

www.mtenback.com

وجعل يسبّني والرجل يخفّض عليه، ويقول: «ما عرفني»، وأبي يقول: «هبْه ما عرفك، فما عذره في حسن الأدب؟».

ثم أدخله الدار، وأكرم مجلسه، وخلا به فتحدثا طويلاً، ثم خرج الرجل، وأبي بين يديه حافيًا، حتى بلغ الباب وأمر بدابته التي يركبها فأُسرجت، وحلف عليه ليركبنّها ثم لا ترجع إليه أبدًا.

فلما انفصل[117] قلت لأبي: «من هذا الرجل الذي عظّمته هذا التعظيم؟».

قال لي: اسكت، ويحك! هذا أديب الأندلس وإمامها وسيدها في علم الأدب، هذا ابن عبدون، أيسر محفوظاته كتاب الأغاني. وما حفظه في ذكاء خاطره وجودة قريحته[118]؟!.

لقد كان تقدير أهل الفضل وحسن معاملتهم هو دأب العرب وطبعهم كما أن التواضع سمة من سمات حياتهم فالعالم متواضع لم يعرِّف نفسه حتى أمام حاجته، والوزير عامل زائره وأحسن معاملته، كما نلحظ أنه يجب ألا يغتر أحد بما يظهر عليه الناس من هيئات قد لا تكون مقياسًا صحيحًا تعبر عن ذات المرء ولا عن مكانته في العلم والأدب أو غيرهما.

وقد نقل بعض الرواة قال: كانت لي بضاعة أعود بفضلها على شملي، وخرجت إلى من عاملته فجمعتها، وكان مقدارها خمسمائة دينار، ثم خرجت أريد الفسطاط في رفقة كثيرة الجمع. فلما كان منتصف طريقنا، وافى جمع من الصعاليك فسلب الناس جميعًا، فتحيرت واضطربتُ، ولكني رأيت منهم شابًّا حسن الصورة، فقلت له: والله ما أملك غير هذا الكيس فخذه واحمله لي عندك.

---

[117] انفصل عن المكان: فارقه.

[118] المراكشي، محيي الدين عبد الواحد بن علي التميمي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، نشر: محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، القاهرة، الاستقامة، ط١ (١٣٦٨هـ/١٩٤٩م) ص٨٨-٩١.

www.mtenback.com

فقال: وأين بيتك في الفسطاط؟

فقلت: في دور«كذا».

فقال: ما اسمك؟

فقلت: محمد الغوري.

قال: امض لشأنك.

وجاء منهم من سلب ثيابي وسراويلي، وانصرفوا عنا، ودخلنا إلى الفسطاط ونحن فقراء، فرجع كل واحد إلى ما تبقى له، وبقيت ليس معي درهم أنفقه.

وإني لجالس على درجة المسجد بين المغرب وعشاء الآخرة حتى رأيت رجلاً قد وقف بي، فقال لي: هاهنا منزل محمد الغوري؟ قلت: أنا هو. ولا والله ما اهتديت إلى الرجل الذي أعطيته المال، لأنه كان عندي أول مال ذاهب، فقال لي: عنّيتني وأخرج الكيس، فدفعه إليّ، فردّت عليّ جدّتي وتطّعمتُ الحياة [119].

وكان بالقرب منا قائد كنت معاملاً له، وكان له مكانة ومحل رفيع، فسألت الرجل المبيت عندي ففعل، فأصبحت وصرت إلى هذا القائد، وقصصت عليه قصة الرجل، فقال لي: الطف لي فيه، فوالله لأنوهنّ[120] باسمه ولأكافئنّه عنك.

فرجعت إليه فأخذته، فوالله ما ارتاع ولا اضطرب، ومضى معي، فأحسن تلقيه، وخلع عليه، وصيّره ليعمل معه، وضّم إليه عدة وافرة، ولم يزل في حيّزه وكنفه إلى أن توفي[121].

لقد كانت الكلمة الطيبة التي بدأ بها صاحب المال كبيرة الأثر في نفس الرجل إذ غيرته من كونه جاء طالبًا للمال محتاجًا إليه إلى أمين له حافظًا لأمانته حيث عرف أن

---

[119] الجدّة: الوفر والغِنَى - تطعم الحياة: ذاقها، يريد أنه تمتّع بها

[120] الطُف فيه أي ارفق به وارأف - أنوّه به: أرفع ذكره وأعظمه

[121] ابن الداية، أحمد بن يوسف بن إبراهيم: المكافأة وحسن العقبى، تحقيق: محمود محمد شاكر، القاهرة، الاستقامة، ط١، (١٣٥٩هـ/١٩٤٠م) ص ١١٧-١١٨.

www.mtenback.com

الرجل عندما أعطاه ماله وطلب منه عونه في موقف صعب إنما توسم فيه خيرًا ولاذ به واستجار بمروءة العربي التي ركزت في نفسه حتى لو حاد عنها تحت ظروف قاسية فإنه سرعان ما يستعيدها ويجعلها خلقه فتغلب الجبلة التي جبل عليها والشهامة على مطامع الدنيا.

ومن المفيد في مجال الحديث عن حسن المعاملة أن يختتم هذا الفصل بحكاية متداولة تكشف عن ميل الآداب العربية عمومًا – سواء أكانت مكتوبة أم مرويّة شفاهًا إلى تمدّح الأخلاق الفاضلة والإعلاء من شأن كل معاملة حسنة طيبة، إذ كان هناك رجل مطلوب بثأر ونزح من بلده خوفًا من أهل الثأر الذين يبحثون عنه لأخذ ثأرهم، فإذا جنّه الليل خرج من بيته حتى لا يهاجمه أعداؤه فينالوا ثأرهم منه، وقد حدث أن جاء طالب الثأر وسأل عنه حتى علم مكانه وموقع بيته فانتظر حتى غروب الشمس وحلول الظلام استعدادًا للهجوم عليه وقتله، وعندما حلّ الظلام خرج صاحب المنزل كعادته وترك زوجته في البيت، فجاء طالب الثأر وانتظر قريبًا من المنزل يترصد عودة صاحبه ليقتله. وأثناء انتظاره جاء رجل يريد المرأة على شرفها وهي وحيدة فصاحت وطلبت النجدة من هذا المعتدي، فلما رأى طالب الثأر ما أصاب المرأة الضعيفة وهي تحاول حماية شرفها من مجرم، عرف متى تكون وحيدة عاجزة عن الدفاع عن نفسها أخذته النخوة العربية ونسي ثأره، وثار لكرامة العروبة فاستجاب لنداء المرأة وأنقذ شرفها ممن يحاول تدنيس كرامتها، فلما أنقذها عرفته وعرفت أنه خصم زوجها الذي يريد قتله، فتوسلت إليه مرة أخرى بأن ينقذها من الترمل واليتم وأن يتم مروءته بالعفو عن زوجها، فأدرك بغريزته العربية أنه أصبح مجيرًا لها من المعتدي على شرفها وهو جار لها من أن يقتل زوجها ويتركها أرملة بعد أن لاذت بحماه فعفى عن زوجها وانتهت محنة الرجل وأهله بموقف عربي شهم قادته الغيرة العربية المحمودة على الضعفاء من النساء ومن لا يستطيع أن يحمي نفسه[١٢٢].

[١٢٢] الدويك، محمد طالب: القصص الشعبية في قَطَر، مركز التراث الشعبي (١٩٨٤م)، ص٢٨٥.

www.mtenback.com

المعاملة بين أفراد الأسرة:

لا جدال في أن حسن المعاملة بين أفراد الأسرة يؤدي إلى حياة هانئه وسعادة دائمة، وقد حث الإسلام على برّ الوالدين[١٢٣] في آيات قرآنية كريمة أوجبت الرفق بهما وإحسان معاملتهما، وذلك في قوله تعالى:

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[١٢٤].

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[١٢٥].

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾[١٢٦].

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[١٢٧].

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾[١٢٨].

---

[١٢٣] البيهقي، إبراهيم بن محمد: المحاسن والمساوئ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار نهضة مصر، (١٩٦١م)ج٢.

[١٢٤] سورة النساء: آية ٣٦.

[١٢٥] سورة الأنعام: آية ١٥١.

[١٢٦] سورة العنكبوت: آية ٨.

[١٢٧] سورة الإسراء: الآيتان ٢٣-٢٤.

[١٢٨] سورة لقمان: الآيتان ١٤-١٥.

www.mtenback.com

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾[١٢٩]. كل هذه الآيات تقرر حسن المعاملة للوالدين وتوجب البّر بهما والتلطف برعايتهما، ومن الأحاديث النبوية الشريفة في الحث على بّر الوالدين وحسن معاملتهما قول النبيّ ﷺ وقد سئل: أي العمل أحبّ إلى الله تعالى؟

قال: الصلاة لوقتها قيل: ثم أي؟، قال: بّر الوالدين، قيل: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله[١٣٠]. وقد جاء رجل إلى رسول الله، فقال: يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتي، قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟، قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أبوك [١٣١]. وقد قدمت أُم أسماء بنت أبي بكر على ابنتها وهي مشركة فاستأذنت أسماء النّبي ببرها وإكرامها وصلتها فأمرها الرسول بذلك [١٣٢].

وقد اعتنى المؤلفون برواية الحكايات التي تنوّه بطبيعة الصلات الحميمة البارّة بين الأبناء وآبائهم، منها هذه الحكاية الجامعة لألوان من الطرافة والفكاهة والإضحاك إلى جانب إشارتها إلى بّر الأم وإيثارها والتحرّج من تركها وترك العناية بها:

منها أن رجلاً من أهل عكبرا يخطب بأهلها، وكان خفيف الروح مليح الحديث والكلام طيب الأدب، يكنى بأبي عصمة، كان يألف أبا القاسم الحواريّ الذي كان أثيراً لدى المقتدر وكان يؤاكله دائماً ويختص به وينفق عليه.

وكان أبو القاسم شديد البّر بأمه فكان يتنغّص[١٣٣] لها بالماء فضلاً عمّا سواه، ولا يتهنّأ بأكل شيء إلاّ إذا أكلت منه، وكان من عادته إذا استطاب لونًا أن يُنفذه

---

[١٢٩] سورة الأحقاف: آية ١٥.

[١٣٠] النووي: رياض الصالحين، ص١٥١

[١٣١] النووي: رياض الصالحين، ص١٥٣.

[١٣٢] النووي: رياض الصالحين، ص١٥٦.

[١٣٣] يقال: نغصه أي منعه نصيبه من الماء.

www.mtenback.com

من مائدته إليها. فأكل عنده أبو عصمة هذا أوّل يوم، وهو لا يعرف رسمه، فقُدّم لوزينج[١٣٤] طيّب، فما شبع منه أبو عصمة حتى أمر به أبو القاسم فرفع إلى والدته. وقدّمت مضيرة[١٣٥] جيّدة، بفراخ مُسمّنة ودجاج هندي ودهن الجوز والخردل، فما أكلوا منها حسبًا[١٣٦] حتى أمر أبو القاسم برفعها إلى والدته، فأخذ أبو عصمة رغيفًا وقام يمشي مع الغضارة[١٣٧] فقال له أبو القاسم: إلى أين أبا عصمة؟! قال: إلى الوالدة يا سيدي، آكل معها هذه المضيرة، فإن هذه المائدة خراب، والخصب عندها. فضحك أبو القاسم، وتقدم بردّ اللون إليه[١٣٨].

وقد أعلى الإسلام من شأن الأسرة وشجع ما يقوي الروابط بينها ويوثق الصلات وينمي العواطف الصادقة والأحاسيس الطيبة، ويدعمها بالثقة والمحبة والرحمة والمودة والتشاور والرضا، وحرص على التماسك القوي بين أفرادها الذي لا يكون إلا إذا قام التعامل الحسن بينهم.

ولأن المرأة هي الجزء الأهم في تكوين الأسرة والأضعف في مكانها من الرجل والأصدق مشاعر؛ فقد أوصى بحسن معاملتها وأمر بالرفق بها وهي الأم المربية والناصحة لأولادها ولا يمكن أن يعدل رحمة الأم أو يقارب رحمتها بأولادها أحد من القرابة أو الأصدقاء، مع أولادها وحبها لهم يكون حبها لزوجها إذا أحسن معاملتها وأكرمها وقد نص القرآن على ما يجب بين الزوجين وهما نواة الأسرة الطيبة الكريمة، من التراحم والتواد وما هو أساس وطيد لا غنى عنه لنواة المجتمع الصالحة وأكد حق كل

---

[١٣٤] اللوزينج من الحلوى: شبه القطائف يُؤدَم بدهن اللوز.

[١٣٥] المضيرة: مُرَيقة تطبخ بلبن وأشياء.

[١٣٦] حَسبًا: قَدْرًا.

[١٣٧] الغضارة: لعلها بمعنى الصحفة المتخذة من الطين الحر.

[١٣٨] التنوخي: نشوار المحاضرة، ج١، ص١٢٢-١٢٣.

www.mtenback.com

طرف نحو الآخر فقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[١٣٩].

وقال تعالى في وجوب أن تكون المعاملة أو المعاشرة بالطيب والمعروف: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[١٤٠].

وأوصى الرسول الكريم بالنساء، فقال: «استوصوا بالنساء، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء»[١٤١]. وهذا الحديث بلغ حدًّا بعيدًا بحسن التعبير عن الحياة وطبيعة التعامل بين الناس التي لا تستقيم على وتيرة واحدة ولكنها المرأة والحياة كالضلع يصيبها الاعوجاج والانحناء والتغير والتبدل، فكان على الرجل أن يقبل الأمر كما هو وألا يحاول أن يكلف الأمور فوق طباعها، ولا يغيرها قسرًا فينكسر ما صلب منها وإنما يأخذ بملاينتها وسياستها، حتى يعيش حياته كما جاءت، وكما أراد الله له، ويقبل بأقل ما يمكن من المعاملة الحسنة و«النساء شقائق الرجال»[١٤٢]، فلهن مثل ما عليهن من الحقوق[١٤٣] وجاء بالتوجيه النبوي قوله: «إن من أكمل المؤمنين إيمانًا

---

[١٣٩] سورة الروم: آية ٢١.

[١٤٠] سورة النساء: آية ١٩.

[١٤١] صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب ١، حديث رقم: ٣٣٣١.

[١٤٢] سنن أبو داود، كتاب الطهارة، باب: ٩٤. حديث رقم: ٢٣٦.

[١٤٣] الميداني: مجمع الأمثال، ج١، ص٢٩ والشقائق جمع شقيقة وهي كل ما يشق باثنين - وأراد بالأقوام: الرجال، على قول من يقول: القوم يقع على الرجال دون النساء.

www.mtenback.com

أحسَنهم خلقًا وألطفهم بأهله»[١٤٤]، وهو أمر فيه ما فيه من ترغيب وافر في حسن معاملة الزوج لزوجته.

وورد في الحديث أيضًا النهي عن رفع العَصَا على المرأة حتى ولو كان على سبيل التأديب لأنّ بالإمكان أن يقع التأديب دون أذى جسدي أو تقريع.

وما أكثر ما وصّى الإسلام بحسن معاملة النساء، ومن شواهد ذلك أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: «ماحق زوجة أحدنا عليه؟». قال: «أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت، ولاتُقبّح، ولا تهجر إلا في البيت»[١٤٥].

وفي المقابل أيضًا، فإن للزوج حقوقًا على زوجته، وهذه الحقوق من قبيل التوجيه المحدِّد لأساليب المعاملة المثلى بين الزوجين، ومن أدلة ذلك ما ورد في الحديث النبوي: «لا يحل لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه، ولا تأذن في بيته إلا بإذنه»[١٤٦].

وإذا حدث الشقاق بين الزوجين، فالطلاق في أضيق الحدود، ولا بدّ أولاً من محاولة التصالح إذا نشب الخلاف، ولا بدّ من إيجاد الطرق الموصلة إلى التصالح والتراضي، ومن الآيات القرآنية الكريمة في ذلك:

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾[١٤٧].

---

[١٤٤] الترمذي: الجامع، كتاب الإيمان، باب ٦، حديث رقم: ٢٦١٢..

[١٤٥] النووي، رياض الصالحين، ص١٣٩ -١٤٠؛ لا تقبح: لا تقل قبحك الله .

[١٤٦] نفسه، ص١٤١-١٤٢ ؛ ابن حجر: فتح الباري، ج١٤، ص٥٣٠-٥٣٢.

[١٤٧] سورة النساء: آية ٣٥.

www.mtenback.com

﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلاًّ مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾[148] وحدّد القرآن الطلاق وقيده بقوله تعالى: ﴿الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلاَّ أَنْ يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[149].

ومن قبيل الطرائف والنوادر التي لا تخلو من العبرة والتأمل ولما تدل عليه من حسن المعاملة أن رجلاً مئناثًا أي لا يولد له إلا بنات فقط[150] ولدت له امرأته جارية فصبر، ثم ولدت له جارية فصبر، ثم ولدت له جارية فهجرها، وتحوّل عنها إلى بيت قريب منها، فلما رأت ذلك أنشأت تقول:

مَا لأَبِي الدَّلْفَاءِ لاَ يَأْتِينَا
يَظَلُّ فِي البَيْتِ الَّذِي يَلِينَا
يَغْضَبُ أَنْ لَمْ نَلِدِ البَنِينَا
وَإِنَّمَا نُعْطِي الَّذِي أُعْطِينَا

فلما سمع الرجل ذلك طابت نفسه ورجع إليها[151] فكان حسن التلطف منها واعتذارها عما لا يد لها فيه هو الذي جعل زوجها يدرك خطأه عندما هجرها وأقنعته

---

[148] سورة النساء: آية ١٣٠.

[149] سورة البقرة: آية ٢٢٩.

[150] صيغة مبالغة للتي من عاداتها ولادة الإناث، ويقال أيضا: رجل مئناث.

[151] الميداني: مجمع الأمثال، ج١، ص٦٤-٦٥؛ وأورد الراغب موجزًا مع اختلاف يسير في: محاضرات الأدباء، ج١، ص ١٥٧.

www.mtenback.com

هي بحصافة رأيها ولباقة أسلوبها وحسن كلامها فعاد إلى حسن المعاملة وذكر حقيقة الأمر والصواب فيه، وهو أنه لا يد للمرأة في أن تختار جنس الأولاد فلماذا يسيء الزوج معاملتها بسبب أمر لا تملكه.

وروي أن بعض الخلفاء هوى أعرابية، فتزوج بها، فلم يوافقها هوى المدن، فلم تزل تعتل وتتأوّه، مع ما هي عليه من النعيم والراحة والأمر والنهي، فسألها عن شأنها فأخبرته بما تجد من الشوق إلى البراري وأحاليب الرِّعاء[١٥٢] و ورد المياه التي تعوّدت عليها.

فبنى لها قصراً على رأس البرية بشاطيء دجلة، وأمر بالأغنام والرعاء أن تسرح بين يديها وتتراءى لها، فلم يزدها ذلك إلاّ اشتياقًا إلى وطنها.

ثم مرّ بها يومًا في قصرها من حيث لا تشعر بمكانه، فسمعها تنتحب وتبكي، حتى ارتفع صوتها وعلا نحيبها، ثم قالت:

وَمَا ذَنْبُ أَعْرابِيَّةٍ قَذَفَتْ بِهَا ... صُرُوْفُ النَّوَى مِنْ حَيْثُ لَمْ تَكُ ظَنَّتِ

تَمَنَّتْ أَحَالِيْبَ الرُّعَاةِ وَخَيْمَةً ... بِنَجْدٍ فَلَمْ يُقْضَ لَهَا مَا تَمَنَّتِ

إِذَا ذَكَرَتْ مَاءَ العُذَيْبِ وَطِيْبَهُ ... وَبَرْدَ حَصَاهُ آخِرَ اللَّيْلِ أَنَّتِ

لَهَا أَنَّةٌ عِنْدَ العِشَاءِ وأَنَّةٌ ... سُحَيْرًا، وَلَوْلاَ أَنَّتَاهَا لَجُنَّتِ

فخرج عليها الخليفة، وقال: قد قُضي ما تمنيت، فالحقي بأهلك من غير فراق، فما مر عليها وقت أسرُّ من ذلك، وسرى ماء الحياة في وجهها من حينها، والتحقت بأهلها بجميع ما كان عندها في قصرها، وظل الخليفة يزورها في أهلها بين الحين والحين[١٥٣].

---

[١٥٢] الأحاليب: جمع الإحلابة وهي أن تحلب لأهلك وأنت في المرعى لبنًا ثم تبعث به إليهم .الرعاء: جمع الراعي وهو يحفظ الماشية ويرعاها.

[١٥٣] ابن عربي، محيي الدين محمد بن على بن محمد الحاتمي: محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار في الأدبيات والنوادر والأخبار، القاهرة، السعادة (١٣٢٤-١٣٢٥هـ) ج٢، ص٢٤٨.

www.mtenback.com

ومن الروايات التي تظهر حسن معاملة الزوج ما رواه أحد كتاب الدولة الطولونية، قال: «دخلت بالبصرة إلى تاجر ذهب عني اسمه، فرأيت بين يديه ابنين في نهاية من النظافة، فلما رآني أقبل بنظري إليهما قال لي: أحب أن تعوّذهما[١٥٤] ففعلت، وقلت له: استَجَدْتَ الأم فحَسُن نسلك، فقال: ما بالبصرة أقبح من أمّهما، ولا أحب إلي منها، ولي معها خبر عجيب، فسألته أن يحدّثنيه، فقال: كنت أنزل الأُبلّة وأنا متعيش[١٥٥] فحملت منها تجارة إلى البصرة فربحت، وحملت من البصرة إلى الأُبلّة فربحت، ولم أزل أحمل مالي من هذه إلى هذه فأربح ولا أخسر، حتى كثر مالي، وتعالم الناس[١٥٦] إقبالي، وآثرت السكنى بالبصرة، وعلمت أنه لا يحسن بي المقام بها بغير زوجة، ولم يكن بها أجلّ قدراً من جد هذين الغلامين، وكانت له بنت قد عضلها[١٥٧] وتعرضّ لعداوة خطابها، فحدثّتني نفسي بلقائه فيها، فجئته على خلوة، وقلت له: يا عمّ، أنا فلان بن فلان التاجر، فقال ما خفي عني محلك ومحل أبيك. فقلت: قد جئتك خاطباً لابنتك. فقال: والله ما بي عنك رغبة، ولقد خطبها إليّ جماعة من وجوه البصرة وما أجبتهم، وإني لكاره من إخراجها عن حضني إلى من يقوّمها[١٥٨] تقويم العبيد. فقلت: قد رفعها الله عن هذا الموضع، وأنا أسألك أن تدخلني في عددك وتخلطني بشملك. فقال: ولا بد من هذا؟! قلت: لا بدّ، وهذا زائد في فضلك عليّ واصطناعك إياي فقال: اغْدُ عليّ برجالك. فانصرفت عنه إلى ملأ من التجار ذوي أخطار، فسألتهم الحضور معي في الغد، فقالوا: إنك لتحرّكنا إلى سعي ضائع، قلت: لابدّ من ركوبكم معي. فركبوا على ثقةٍ من أنه يردّهم وغدونا عليه

---

[١٥٤] تعوّذهما: تُحصّنهما بالله تعالى وبأسمائه من الحسد والشرور والأدواء .

[١٥٥] متعيّش: متكلف لأسباب المعيشة.

[١٥٦] تعالموا الشيء: علموه.

[١٥٧] عضلها: منعها التزوّج وحبسها .

[١٥٨] قوّم السلعه: سعّرها وثمّنها.

www.mtenback.com

وأحسن الإجابة وزوّجني، وأطعم القوم، ونحر لهم، وانصرفوا ثم قال لي: إن شئت أن تبيت بأهلك فافعل، فليس لها ما يحتاج إلى التلوّم[١٥٩] عليه، فقلت: هذا يا سيدي ما أحبه. فلم يزل يحدثني بكل حسن حتى كانت المغرب، فصلاّها بي، ثم سبّح وسبّحت، ودعا ودعوت، إلى أن كانت العتمة[١٦٠] فصلاها بي وأخذ بيدي، فأدخلني إلى دارٍ قد فرشت بأحسن فرشة، بها خدم وجوار في نهاية من النظافة، فما استقر بي الجلوس حتى نهض، وقال: أستودعك الله، وقدمّ الله لكما الخيّرة، وأحرز التوفيق.

واكتنفتني عجائز من شمله، فجلون[١٦١] ابنته عليّ، فما تأمّلت طائلاً، وأرخت الستور علينا، فقالت: يا سيدي، إني سرّ من أسرار والدي، كتمه عن سائر الناس وأفضى به إليك، ورآك أملاً لستره عليه، فلا تخفر ظنه فيك، ولو كان الذي يطلب من الزوجة حسن صورتها دون حسن تدبيرها وعفافها، لعظمت محنتي، وأرجو أن يكون معي منهما أكثر مماقصر بي في حسن الصورة.

ثم وثبت وجاءت بمال في كيس، فقالت: يا سيدي، قد أحل الله لك معي ثلاث حرائر وما آثرته من الإماء[١٦٢]، وقد سرغتك تزوج الثلاث وابتياع الجواري من مال هذا الكيس، فقد أوقفته على شهواتك، ولست أطلب منها إلا ستري فقط.

فحلف التاجر أنها ملكت قلبه ملكًا لم تصل إليه حَسِنة بحسنها، فقال لها: جزاء ما «قد متيه» ما «تسمعيه»[١٦٣] مني: والله لا أصبت من غيرك أبدًا، ولأ جعلنك حظي من دنياي، فيما يؤثره الرجل من المرأة.

---

[١٥٩] التلوّم: الانتظار والتمكث.

[١٦٠] العتمة: ثلث الليل الأول بعد غيبوبة الشفق، وقيل هي وقت صلاة العشاء الأخيرة.

[١٦١] جلوة العروس: تزيينها وصقلها وإدخالها على الزوج.

[١٦٢] الحرائر جمع الحرّة وهي خلاف الأمة أي المرأة المملوكة .

[١٦٣] كذا وواضح ما فيه من اللحن والخطأ.

www.mtenback.com

وكانت أشفق النساء، وأضبطهم، وأحسنهم تدبيراً فيما تتولاّه بمنزلي، فتبيّنت وقوع الخيرة في ذلك، ولحقتني السن [١٦٤]، فصارت حاجتي إلى الصواب أكثر منها إلى الجماع، وشكر الله لي ما تلقيت به جميل قولها، وحسن فعلها، فرزقني منها هذين الابنين الرائعين لك، ونحن منقطعون إلى جوده فينا وإحسانه إلينا[١٦٥].

هذه القصة على طولها تدل على أن المطلب الأول في المرأة هو عقلها، ودينها وحسن تدبيرها وليس الجمال هو ما يطلبه الرجل فقط في الزوجة الصالحة التي تبنى عليها البيوت ويعتمد عليها بتربية الأولاد، وإذا صارت المرأة مدبرة ناضجة عاقلة تعرف وظيفتها الحقيقية ورسالتها في الحياة الزوجية وتثمير المال الذي يصل إلى يديها من مال زوجها كملت خصالها، ويبقى ما بقى من ملامح القبول والشكل العام لا يعول عليه إلا القلة من الناس من الذين لا يدركون فضائل العقل، ومن يتسرع النتائج ويطالب بالمظاهر الخادعة.

ومما ترغب فيه الطبائع السليمة: حسن معاملة الأبناء، قال ﷺ: «رحم الله والداً أعان ولده على بره»، وكان النبي يداعب أحفاده، وقد رآه بعض الصحابة وهو يمشي على أربع، وعلى ظهره الحسن والحسين، وهو يقول: « نعم الجمل جملكما، ونعم العِدْلاَن أنتما»[١٦٦] وكان ﷺ يقبل رؤوس الصبيان ويمسح رءوسهم، ويروى أنه قبل الحسن والحسين ابني علي، و عنده الأقرع بن حابس التميمي، فقال الأقرع: «إن عندي عشرة ما قبلت منهم أحداً قط»، فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: «من

---

[١٦٤] لحقه السنّ أي كبر وبلغ سناً عالية.

[١٦٥] ابن الداية: المكافأة وحسن العقبى، ص ٥٨- ٦١.

[١٦٦] علوان: تربية الأولاد في الإسلام، ج٢، ص ١٠٢٣ والعِدْلُ نصف الحمل يكون على أحد جنبي البعير.

www.mtenback.com

لا يرحم لا يُرحم»[١٦٧]، ويروى أنه كان إذا أتي بأول ما يُدرك من الفاكهة يعطيه لمن يكون في المجلس من الصبيان [١٦٨].

وفي المأثورات ما يدل على الأبوة الحانية، وحبِ الأبناء الذي لا يعدله حبّ، فقد روي أن أحمد بن يوسف كاتب الخليفة المأمون تأخر عن أبيه أيامًا بسبب عرسه، فكتب إليه أبوه[١٦٩]:

فَدَاكَ أَبُوكَ قَدْ طَالَ اشْتِيَاقِي ... إِلَيكَ فَهَلْ لَنَا يَوْمًا تَلاَقِي

أُنَاجِي الفِكْرَ فِيكَ إِذَا خَلَوْنَا ... بِذِكْرِكَ كَيَ يُنَفِّسَ مِنْ خِنَاقِي

أما حسن المعاملة بين الإخوة فالإشارات إليها كثيرة أيضًا، من ذلك ما ذكر من أن محمد بن الحنفية كان يتحدث عن أخويه فيقول: «الحسن والحسين أشرف منّي، وأنا أعلم بحديث أبي منهما» [١٧٠].

وروي أن الفضل بن يحيى أمر للقاسم بن يوسف بثلاثين ألف درهم، فسأله سائل عن وجوه إنفاقها، وكان ذلك السائل يقدّر أنه يقول: «أشتري بها ضيعة»، ولكنه قال له: «أرفد بها أخي أحمد في عرسه»، قال السائل: «وإن أخذها كلها؟» قال: «وإن أخذها كلها»[١٧١].

الزملاء وأصحاب الصنائع:

تفرض الحياة على الناس الارتباط بأعمال لها صفة الخصوصية أو صفة الاتصال الدائم، وهم من يسمون في عصرنا بالزملاء في العمل أو أهل الصناعة الواحدة، وهؤلاء

---

[١٦٧] صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ١٨، حديث رقم: ٥٩٩٧.

[١٦٨] علوان: تربية الأولاد في الإسلام، ص ١٠٢٤.

[١٦٩] الصولي: أخبار الشعراء، ص ١٦٠. وعن فنّ الأبوة انظر: الشهاوي: الأسرة في المجتمع العربي، ص١٠٤.

[١٧٠] التوحيدي: البصائر والذخائر، ج١ ص ١٧٣.

[١٧١] الصولي: أخبار الشعراء، ص ١٥٨.

www.mtenback.com

يربطهم العمل جلَّ الوقت، فيحصل بينهم كثير من الاتصال المباشر، وتخلق الزمالة شيئًا من الصلة التي تتحول مع حسن المعاملة إلى قرابة وحب وعطف وعون للإنسان، وقد كان في تاريخ العرب ما يشبه ما نحن بصدد الحديث عنه وهم طبقة الكتاب، وهذه طبقة غير معزولة عن الأحداث ومتقلبات الأحوال التي تمر بها الدول وتعرض للناس، بل كانوا كما وصفهم سيدهم في العصر الأموي في أشرف الجهات، وهم أهل الأدب والمروءة والعلم والرواية [١٧٢]. فقد أوصوا بحسن المعاملة وأن يوقروا كبارهم وأن يعطف بعضهم على بعض، قال أحد رؤسائهم: «وإن نبا الزمان برجل منكم فاعطفوا عليه وواسوه حتى يرجع عليه حاله ويثوب إليه أمره. وإن أقعد أحدكم الكِبَر عن مكسبه ولقاء إخوانه فزوروه وعظموه وشاوروه واستظهروا بفضل تجربته وقدم معرفته»[١٧٣].

أما إذا تولّوا الأعمال وحمّلوا التبعات وكان لهم أمر الرعية، فعليهم أن يحسنوا المعاملة قال ناصحهم: «فإذا وُلّي الرجل منكم أو صُيِّر إليه من أمر خلق الله وعياله أمر، فليراقب الله – عزّ وجلّ – وليؤثر طاعته، وليكن على الضعيف رفيقًا، وللمظلوم منصفًا، فإن الخلق عيال الله، وأحبهم إليه أرفقهم بعياله، ثم ليكن بالعدل حاكمًا للأشراف مكرمًا، وللفيء موفرًا، وللبلاد عامرًا وللرعية متألّفًا، وعن إيذائهم متخلّفًا، وليكن في مجلسه متواضعًا حليمًا»[١٧٤].

---

[١٧٢] صفوت أحمد زكي: جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة، الحلبي، ط٢، (١٣٩١هـ/١٩٧١م) ج٢، ص٤٥٥ -٤٥٦.

[١٧٣] صفوت: جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة، ج٢، ص٤٥٧، ونبا الزمان أي ثقل واشتدّ ولم يواتِ- استظهروا: استعينوا

[١٧٤] صفوت: جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة، ج٢، ص٤٥٨. والفيء: الخراج والغنيمة.

www.mtenback.com

وسياسة الناس تقتضي المرونة وأن تعامل كلّ طائفة بما يناسبها، وأن يتصرف القائم على أمورهم في كل موقف بما يلائمه، قال: وإذا صحِب أحدكم رجلاً فليختبر خلائقه فإذا عرف حسنها وقبيحها أعانه على ما يوافقه من الحسن، واحتال لصرفه عما يهواه من القبيح بألطف حيلة وأجمل وسيلة. وقد علمتم أن سائس البهيمة إذا كان بصيرًا بسياستها التمس معرفة أخلاقها فإن كانت رموحًا لم يهجها إذا ركبها، وإذا كانت شبوبًا اتّقاها من قبل يديها، وإن خاف شرودًا توقاها من ناحية رأسها، وإن كانت حرونًا قمع برفق هواها في قيادها. وفي هذا الوصف من السياسة دلائل لمن ساس الناس وعاملهم وجربهم وداخلهم.

والكاتب بفضل أدبه، وشريف صنعته، ولطف حيلته، ومعاملته لمن يحاوره من الناس، أولى بالرفق بصاحبه ومداراته وتقويم أوده من سائس البهمية التي لا تحير جوابًا، ولا تعرف صوابًا، ولا تفهم خطابًا، إلاّ بقدر ما يصيرها صاحبها الراكب عليها[١٧٥].

وعلى هذا النهج في نصح الكتّاب وتوجيههم إلى حسن المعاملة سار المفكرون من بعد، يقول أحدهم: ويستحب له (أي الكاتب) أيضًا أن ينزل ألفاظه في كتبه، فيجعلها على قدر الكاتب والمكتوب إليه، وألا يعطي خسيس الناس رفيع الكلام، ولا رفيع الناس وضيع الكلام[١٧٦]. ومما ينبغي أن يؤدب الإنسان نفسه ويزينها به الأخلاق قبل أن يؤدب لسانه ويهذبه بالفصاحة، يقول: ونحن نستحب لمن قبل عنا، وائتّم بكتبنا

---

[١٧٥] صفوت: جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة، ص٤٥٨ ويحسن قراءة الرسالة كاملة، فهي من أروع ما كتب في الأدب العربي، بل في الأدب العالميّ جميعه، ولو اهتدى بهديها الكتّاب وأصحاب الأقلام عمومًا في عصرنا لبلغوا شأوًا عاليًا في الثقافة والأخلاق.

[١٧٦] ابن قتيبة، أبومحمد عبد الله بن مسلم الدينوري: أدب الكاتب، نشر: محب الدين الخطيب، القاهرة، السلفيّة (١٣٤٦هـ) ص١٥.

www.mtenback.com

أن يؤدب نفسه قبل أن يؤدب لسانه، ويهذب أخلاقه قبل أن يهذب ألفاظه، ويصون مروءته عن دناءة الغيبة، وصناعته عن شين الكذب [١٧٧].

ومن الحكايات المرويّة في شأن هذه الأخلاق العالية، التي تكشف عن درجة رفيعة من حسن المعاملة ما حدث بين مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية وكاتبه عبد الحميد، ذلك أنه لما قوي أمر بني العباس وظهر قال مروان لعبد الحميد: إنا نجد في الكتب أن هذا الأمر زائل عنا لا محالة، وسيضطر إليك هؤلاء القوم (يعني ولد العباس) فصر إليهم، فإني أرجو أن تتمكن منهم، فتنفعني في مخلفي وفي كثير من أسبابي.

فقال له: وكيف لي بأن يعلم الناس جميعًا أن هذا عن رأيك، وكلهم يقول: إني غدرت وصرت إلى عدوك؟ وأنشد:

أُسِرُّ وَفَاءً ثُمَّ أُظْهِرُ غَدْرَةً فَمَنْ لِي بِعُذْرٍ يُوْسِعُ النَّاسَ ظَاهِرُهْ؟!

وأنشد أيضًا:

فَذَنْبِي ظَاهِرٌ لاَ عَيْبَ فِيْهِ لِلائِمِهِ وَعُذْرِي بِالْمَغِيبِ

فلما سمع ذلك مروان علم أنه لن يفعل ثم قال له عبدالحميد: الذي أمرتني به أنفع الأمرين لك وأقبحهما لي، ولك علي الصبر معك إلى أن يفتح الله عليك أو أقتل معك[١٧٨].

وللعلم سطوته وللعلماء تقديرهم ومكانتهم الشامخة التي تجعلهم جديرين بأن يقتدى بهم في حسن المعاملة، وأن ينالوا الاحترام والتوقير، روي أن رجلاً من العلماء تكلم كلمة أنكرها هارون الرشيد فحضر كاتبه يوسف بن القاسم في محفة[١٧٩]،

---

[١٧٧] ابن قتيبة: أدب الكاتب، ص١١.

[١٧٨] الجهشياري، أبو عبد الله محمد بن عبدوس: الوزراء والكتاب، تحقيق: مصطفى السقا وزميليه، القاهرة، الحلبي، ط١، (١٣٥٧هـ/١٩٣٨م) ص٧٩ وانظر: ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج١، ص٢٦-٢٧.

[١٧٩] المحفّة: مركب كالهودج، إلاّ أن الهودج يقبب والمحفّة لا تقبب، سميّت بها لأن الخشب يحفّ بالقاعد فيها أي يحيط به من جميع جوانبه.

www.mtenback.com

وقال: إن للعلم طغيانًا كطغيان المال والملك، ولولا أن صاحبه يردع بما فيه من مدح العلم والتواضع لكان أشد سطوة به من ذي الملك، ثم قال:

وَإِنَّكَ إِنْ تَعْثِرْ بِكَ الرِّجْلُ تُتَّقَى ... وَإِنَّ الَّتِي لاَ تُتَّقَى عَثْرَةُ الفَمِ

فقال له الرشيد: يا يوسف أتحضر الدار على هذه الحال؟!

فقال: يا أمير المؤمنين، هذا محل منك يحامى عليه، وأمر من مدبر أمرك يسارع إليه[١٨٠].

وهذه كلمات مشعة تحمل معاني وضيئة عالية القيمة تصف العلم والعلماء وتوجه إلى الاعتراف بسلطانهم وحسن معاملتهم ومايجب لهم من الحق والمداراة وحسن العشرة.

وروي أن أحداثًا من الكتاب كانوا يُزَوِّرُون في ديوان الخليفة المنصور، فلما اتصل الخبر به، أمر بإحضارهم وتقدم بتأديبهم، فقال واحد منهم:

أَطَالَ اللهُ عُمْرَكَ فِي صَلاَحٍ ... وَعِزٍّ يَا أَمِيْرَ المؤمنِيْنَا

بِعَفْوِكَ أَسْتَجِيْرُ فَإِنْ تُجِرْنِي ... فَإِنَّكَ عِصْمَةٌ لِلْعَالَمِيْنَا

وَنَحْنُ الكَاتِبُوْنَ وَقَدْ أَسَأْنَا ... فَهَبْنَا لِلْكِرَامِ الكَاتِبِيْنَا

فأمر المنصور بتخليتهم، ووصل الفتى وأحسن إليه [١٨١].

فحسن المعاملة يجب أن يسبق العقوبة إذا كان الأمل في الإصلاح هو الغالب، والشعور بالندم على الخطأ هو الأقرب إلى طبيعة المخطئ، والإقلاع مرجو منه، وقد يكون للعفو والتسامح عن المخطئ من الزاجر ما هو أشد من زجر العقوبة.

---

[١٨٠] الصولي: الأوراق، ص ١٥٨.

[١٨١] الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص ١٣٦.

www.mtenback.com

وروي أن ابن سعيد الضرير كان عالمًا باللغة والحديث وغيرهما، وكان ثريًا مُمسكًا، لا يكسر رأس رغيف له، إنما يأكل عند من يختلف إليهم، لكنه كان أديب النفس عاقلاً، حضر يومًا مجلس عبدالله بن طاهر، فقدم إليه طبق عليه قصب السكر، وقد قُشّر وُقطع كاللقم، فأمره ابن طاهر أن يتناول منه، فقال أبو سعيد: إن لهذا لُفاظةً ترتجع من الأفواه، وأنا أكره ذلك في مجلس الأمير أيده الله.

فقال ابن طاهر: تناول فليس بصاحبك من احتشمك واحتشمته، أما إنه لو قُسّم عقلك على مائة رجل لصار كل رجلٍ منهم عاقلاً[١٨٢].

وفي هذا أيضًا شاهد على تقدير الناس للعلماء وإنزالهم منازلهم التي هم أهل لها والرفق المطلوب لهم في معاملة طيبة وتعامل حسن.

الخدم:

لم تغفل المصادر الأدبية والتاريخية وغيرها فصولاً ضافية تتحدث عن الخدم وما ينبغي في التعامل معهم[١٨٣].

ومن الأحاديث النبوية الشريفة في هذا الموضوع مارواه أنس رضي الله عنه قال: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، فما قال لي أف، ولا قال لشيء فعلته: لم فعلته؟ ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلت كذا [١٨٤]؟

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه دعا غلامًا له فلم يجبه، فدعاه ثانية، فرآه مضطجعًا، فقال: أما تسمع يا غلام؟ قال: نعم، قال: فما حملك على ترك جوابي؟ قال: أمنت عقوبتك فتكاسلت، قال: اذهب فأنت حر لوجه الله تعالى[١٨٥].

---

[١٨٢] الحموي: معجم الأدباء، ترجمة: أحمد بن أبي خالد، ج٣، ص٢١-٢٢.

[١٨٣] انظر: ما أورده الراغب تحت عنوان: «الحث على الإحسان إلى الخدم»، في: محاضرات الأدباء، ج١، ص١٠٣

[١٨٤] النووي: رياض الصالحين، ص٢٧١-٢٧٢.

[١٨٥] الأبشيهي: المستطرف، ج١، ص٢٦١

www.mtenback.com

ومما روي في التماس الأعذار والتغاضي عن زلات الخدم وسوء تقديرهم للأمور أن الخليفة المأمون نادى بالخادم: ياغلام فلم يجبه أحد، ثم نادى ثانية: ياغلام، فدخل غلام تركي وهو يقول: ماينبغي للغلام أن يأكل ولايشرب!! كلما خرجنا من عندك تصيح: ياغلام، إلى كم يا غلام؟! فنكس المأمون رأسه طويلاً، فماشك عبد الله ابن طاهر في أنّ المأمون سيأمره بضرب عنقه، ولكنه نظر إلى ابن طاهر، وقال له: إن الرجل إذا حسنت أخلاقه ساءت أخلاق خدمه، وإذا ساءت أخلاقه حسنت أخلاق خدمه، وإنا لا نستطيع أن نسيء أخلاقنا لتحسن أخلاق خدمنا[١٨٦].

وروى حماد بن إسحاق أنه كان لأبيه غلام يسقي الماء لمن كان في داره على بغلين، فرآه إسحاق يومًا وهو يسوق البغل، وقد قرب من الحوض الذي يصب فيه الماء، فقال: ما خبرك يافتح؟

قال: خبري يامولاي أنه ليس من أحد في هذه الدار أشقى مني ومنك.

قال: وكيف ذلك.

قال: لأنك تطعمهم الخبز، وأنا أسقيهم الماء.

فضحك منه ثم قال له: فما تحب أن أصنع بك.

قال: تعتقني وتهب لي هذين البغلين.

ففعل ذلك [١٨٧].

والخدم وإن حكمتهم ظروف الحياة، وعملوا الأعمال قليلة الخطر، إلا أن في بعضهم من شيم العروبة وأخلاق الكرام، ما قد يخجل غيرهم من القادة والرؤساء وفيهم من الوفاء وحسن الصنيعة ما لا يوجد إلا عند القليل من الناس، فلا يجب أن يحتقرهم الإنسان أو يقلّل من احترامهم وألا يسيء معاملتهم، فقد يكون فيهم الكريم

---

[١٨٦] الأبشيهي: المستطرف، ج١، ص ٢٦٠.

[١٨٧] التوحيدي: البصائر والذخائر، ج١، ص ٧٥.

www.mtenback.com

ذو المروءة، روى معن بن زائدة قصته مع خادم من عامة الناس حيث قال: لما انتقلت الدولة إلى بني العباس جد المنصور في طلبي، وجعل لمن يحملني إليه مالاً، فاضطررت لشدة الطلب إلى أن تعرضت للشمس حتى لوحت وجهي، وخففت عارضي[188] ولبست جبة صوف وركبت جملاً وخرجت متوجهًا إلى البادية لأقيم بها. فلما خرجت من باب حرب، وهو أحد أبواب بغداد، تبعني أسوُد متقلدٌ بسيف، حتى إذا غبت عن الحرس، قبض على خطام الجمل، فأناخه وقبض على يدي، فقلت له: مابك؟

فقال: طلبة أمير المؤمنين.

فقلت: ومن أنا حتى أطْلَب؟!

قال: أنت معن بن زائدة.

فقلت: ياهذا، اتق الله، وأين أنا من معن؟

فقال: دع هذا، فوالله إني لأعرف بك منك.

فلما رأيت منه الجد، قلت له: هذا جوهر قد حملته معي بأضعاف ما جعله المنصور لمن يجيئه بي، فخذه ولا تكن سببًا في سفك دمي.

قال: هاته.

فأخرجته إليه، فنظر فيه ساعة، وقال: صدقت في قيمته، ولست قابِلَه حتى أسألك عن شيء، فإن صدقتني أطلقتك.

فقلت: قل.

قال: إن الناس قد وصفوك بالجود فأخبرني: هل وهبت مالك كله قط؟

قلت: لا.

قال: فنصفه؟

قلت: لا.

---

[188] لوّحته الشمس: غيرته وسفعت وجهه – العارض: جانب الوجه وصفحة الخد

www.mtenback.com

قال: فثلثه؟

قلت: لا.

حتى بلغ العُشر، فاستحييت، وقلت: أظن أني فعلت هذا.

قال: وماذاك بعظيم، أما عن رزقي من الخليفة كل شهرٍ فعشرون درهمًا، وهذا الجوهر قيمته ألوف الدنانير، وقد وهبته لك ووهبتك لنفسك ولجودك المأثور بين الناس، ولتعلم أن في هذه الدنيا من هو أجود منك، فلا تعجبك نفسك، ولتحقرن بعد هذا كل جود فعلته، ولاتتوقف عن مكرمة.

ثم رمى العقد في حجري، وترك خطام الجمل، وولى منصرفًا.

فقلت: يا هذا، قد والله فضحتني، ولسفك دمي أهون علي مما فعلت، فخذ ما دفعته لك فإني غني عنه.

فضحك وقال: أردت أن تكذبني في مقالي هذا، إن أخذته، ولا آخذُ لمعروف ثمنًا أبدًا.

ومضى لسبيله، فوالله لقد طلبتُه بعد أن أمنت وليت اليمن، وبذلت لمن يجيئني به مالاً فما عرفت له خبرًا، وكأن الأرض ابتلعته [١٨٩].

إنها قصة تدل على أن الإنسان يجب أن يتحرى الخير في الناس كافة وأن يبحث عن اللمحات الإنسانية ويعفو فيحسن إلى المحسن ويزيد في إحسانه ويعفو عن المخطئ ويعامله بحسن الأدب.

غير المسلمين:

لمعاملة غير المسلمين في المجتمعات الإسلامية أسسها الثابتة التي استقرت في ضمير كل مسلم يعمل قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ

---

[١٨٩] أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد: وفيات الأعيان، ابن عباس، بيروت، دار الثقافة (١٩٧١م) ج٥، ص٢٤٥- ٢٤٦

www.mtenback.com

ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[١٩٠].

وقد كثر ما طبع عليه المسلمون في معاملاتهم لأهل الديانات الأخرى، لأن فيها شهادات وفيرةً شهدها غير المسلمين على حسن معاملة المسلم لغيره من بني البشر[١٩١]، وفيها أيضًا نظرات صائبة لعلماء مسلمين معاصرين تناولوا بالتحليل والتوضيح ما عومل به الناس في دولة الإسلام من تسامح ديني وفكري له درجاته المختلفة[١٩٢].

يقول إدوارد غالي محذّرًا هؤلاء الذين يتبعون أهواءهم وينساقون معصوبي الأعين وراء الدعاوى الباطلة والافتراءات المضّللة: «على غير المسلمين أن يفتحوا عيونهم لما يدعو إليه الإسلام من مبادىء سامية»[١٩٣].

لقد انتشر الإسلام في جزر الفلبين بواسطة عالم مسلم هو كريم المخزومي (كذا) إذ وجد فيه القوم رجلا صادقًا أمينًا سمحًا، لا يسرق ولا يزني ولا يشرب الخمر ويؤدي فرائض ربّه في أوقاتها، وجمع كل مكارم الأخلاق، فاعتنقوا الإسلام إيمانًا منهم بأن هذا الدين إنما هو سبيل الخلق الحسن الكريم. وأصبح في هذه الجزر حاليًا أكثر من ثلاثة ملايين مسلم، فأصبح لهذا العالم من الثواب قدر ما هدى، وإنه لأجر كبير.

---

[١٩٠] سورة العنكبوت: آية ٤٦.

[١٩١] من هذه الشهادات ما أثبته عيسى، إبراهيم سليمان في: معاملة غير المسلمين في دولة الإسلام، القاهرة، دار المنار، ط١، (١٤١٤هـ/١٩٩٤م)، ص١٠٦- ١١٤ ؛ الذهبي، إدوارد غالي: في معاملة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، القاهرة، غريب، ط١ (١٩٩٣م) تحت عنوان: شهادة كتاب الغرب، ص٤٦-٤٩ .

[١٩٢] عيسى: معاملة غير المسلمين، ص١١٥-١١٩.

[١٩٣] الذهبي: معاملة غير المسلمين، ص٢٠٥.

www.mtenback.com

كذلك انتشر الإسلام في الهند والصين والملايو والغرب عن طريق التجار المسلمين الذين كانت أخلاقهم وسيلة لنشر الدعوة الإسلامية. فالمسلم هو عنوان دينه، ولذلك وجب علينا أن نعتني بأخلاقنا وأخلاق من تقع علينا مسؤولية تربيتهم ورعايتهم حتى يكون ذلك سبيل الدعوة إلى الإسلام[١٩٤] ولولا حسن المعاملة والرفق بالناس والتعامل الأمين معهم ما أسلمت شعوب بكاملها لا يدفعها إلى الإسلام إلا ما تراه في أهله من أخلاق مقبولة محببة.

الأمة والحكام:

الحكام خلفاءَ أو ولاةً أو قضاةً أو غيرهم كان كثيرٌ منهم نماذج رفيعة عالية للساسة الذين يعرفون كيف يسوسون الناس ويحسنون معاملتهم.

قال أبو بكر رضي الله عنه في خطبة خطبها بعد البيعة: «أما بعد أيها الناس، إني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن رأيتموني على حق فأعينوني، وإن رأيتموني على باطل فسدّدوني، أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم، ألا إن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ الحق له وأضعفكم عندي القوي حتى آخذ الحق منه، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم»[١٩٥].

وبهذا ضرب أبو بكر المثل الطيب للحاكم الذي يحسن التصرف ويقود المحكومين إلى شاطيء السلامة، ويضع الأسس الراسخة للفكر السياسي الحكيم.

ومن كلام عمر رضي الله عنه: «أشقى الولاة من شقيت به رعيته»[١٩٦] ومعنى ذلك أن الحاكم الذي لا يدري كيف يقود محكوميه ويعاملهم بالعسف والقهر تشقى به

---

[١٩٤] نوفل، عبد الرازق: الدعوة إلى الإسلام، القاهرة، الوعي العربي، ط١، (١٩٦٥م)، ص٧٤-٧٥.

[١٩٥] صفوت، أحمد زكي: جمهرة خطب العرب، القاهرة، الحلبي، ط١(١٣٥٢هـ/١٩٣٣م) ج١، ص٦٧؛ ابن كثير، أبو الفدا عماد الدين إسماعيل بن عمر: البداية والنهاية، القاهرة، دار الغد العربي (١٤١٢هـ/١٩٩٢م) ج٣، ص ٨٤٢-٨٤٣ ؛ الميداني: مجمع الأمثال، ج٢، ص٤٥١.

[١٩٦] الميداني: مجمع الأمثال، ج٢، ص ٤٥١.

www.mtenback.com

رعيته وتسوء أحوالهم وتكثر فيها المظالم وينتفي أمنها وسلامتها. وقد قال عمر في خطبة له بعد توليه الخلافة: «من رأى فيّ اعوجاجًا فليقومه»، فقال رجل: «والله لو رأينا فيك اعوجاجًا لقوّمناه بسيوفنا»، فسر عمر وقال: «الحمد الله الذي جعل في المسلمين من يقوّم اعوجاج عمر».

وكان عثمان رضي الله عنه يقول: « إن وجدتم في كتاب الله أن تضعوا رجلي في القيد، فضعوا رجلي في القيد». وقال علي رضي الله عنه في أول خطبة له بعد الخلافة: «إن هذا أمركم ليس لأحد فيه حق إلا من أمَّرتم، ألا إنه ليس لي أمر دونكم»[١٩٧].

وهكذا كان الخلفاء في الرجاحة والكياسة وحسن معاملة الناس، ومن أمثلة ذلك أيضًا أن رجلاً قال لعمر: «اتق الله يا أمير المؤمنين»، فقال له آخر: «لا تَأْلِتْ أمير المؤمنين»، فقال عمر: «دعهم فلا خير فيهم إذا لم يقولوها، ولا خير فينا إذا لم تقل لنا»[١٩٨].

وحكي أن رجلاً جاء إلى عمر، فقال:

يَا عُمَرَ الخَيْرِ جُزِيْتَ الجَنَّهْ
اكْسُ بَنَاتِي وَأُمَّهُنَّهْ
أُقْسِمُ بِاللهِ لَتَفْعَلَنَّهْ

فقال عمر: فإن لم أفعل، يكون ماذا؟! قال:

إِذًا أَبَا حَفْصٍ لأَذْهَبَنَّهْ

قال: فإذا ذهبت يكون ماذا؟! قال:

---

[١٩٧] الحوفي، أحمد: تحت راية الإسلام، القاهرة، الشعبية، (١٣٨٥هـ/١٩٦٥م) ص٩٧-٩٨.

[١٩٨] التوحيدي: البصائر والذخائر، ج١ ص ٢٠.

www.mtenback.com

يَكُــوْنُ عَــنْ حَــــالِي لَتُسْــــأَلُنَّهْ
يَــوْمَ تَكُــوْنُ الأُعْطِيَــاتُ يَمْنَــــــهْ
وَالوَاقِـــفُ المَسْــــؤُوْلُ بَيْنَهُنَّــــهْ
إِمَّـــا إِلَىنَـــارٍ وَ إِمَّـــا جَنَّـــهْ

فبكى عمر حتى اخضلّت لحيته، ثمّ قال: «يا غلام أعطه قميصي هذا لذلـــك اليوم، لا لشعره، أما والله لا أملك غيره»[١٩٩].

وتدّل مثل هذه القصة أيضًا على حدب عمر وشفقته على الرعيّة، وخوفه مـــن يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وكان عمر يحسن معاملة الآخرين ويتحرى في ذلك العدل ويتوخّى مشاورة من يتوسم فيهم جودة الحكم ووفرة العلم ورجاحة العقل، روي أنه ساوم رجلاً بفـــرس، فلما قامت على ثمن، أخذها عمر على أنه فيها بالخيار، إن اختار أمسك، وإن كـــره رد. فحمل عمر عليها رجلاً يسوّرها، فوقعت في بئر فهلكت الفرس، فقـــال صـــاحب الفرس: ضمنت فرسي يا أمير المؤمنين.

قال: كلاّ لم أضمنها.

قال الرجل: فاجعل بيني وبينك رجلاً من المسلمين.

فجعلا بينهما رجلاً، فقص عليه القصة، فقال: «ضمنت يا أمير المؤمنين فـــرس الرجل لأنك أخذتها على شيء معلوم، فأنت لها ضامن حتى تردّها عليه». فقبل ذلـــك

---

[١٩٩] الجريري أبو الفرج، معافى بن زكريا النهرواني: الجليس الصالح الكافي و الأنيس النـــاصح الشـــافي، تحقيق: د. محمد مرسي الخولي، بيروت، عالم الكتب، ط١(١٩٨١-١٩٨٣م) ج٢، ص٢٣٩؛ وانظر: ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد: سيرة عمر بن الخطـــاب، المطبعـــة المصريـــة، القاهرة، (١٣٣١هـــ)، ص١٦٦.

www.mtenback.com

عمر. وبعث شريحًا على قضاء الكوفة، وقال له: ما تبين لك في كتاب الله فلا تسأل عنه أحدًا، وما لم يتبين في كتاب الله فاتبع سنة رسول الله، وما لم يتبين في السنّة فاجتهد رأيك[٢٠٠].

وممّا يروى عن حسن معاملة معاوية بن أبي سفيان، أنه كان لعبد الله بن الزبير أرض متاخمة لأرض معاوية، قد جعل فيها عبيدًا يعمرونها، فدخلوا على أرض عبد الله، فكتب إلى معاوية: أما بعد يا معاوية، فامنع عبدانك من الدخول في أرضي، وإلا كان لي ولك شأن. فلما وقف معاوية على الكتاب وكان إذ ذاك أمير المؤمنين دفعه إلى ابنه يزيد، فلما قرأه قال له: يا بُنيّ، ما ترى؟

قال: أرى أن تنفذ إليه جيشًا، أوّله عنده وآخره عندك فيأتوك برأسه.

قال: أو خير من ذلك يا بني؟ عليّ بدواة وقرطاس.

وكتب: «وقفت على كتاب ابن حواريّ[٢٠١] رسول الله، ساءني ما ساءه، والدنيا بأسرها عندي هيّنة في جنب رضاه، وقد كتبت له على نفسي صكًا بالأرض والعبدان، وأشهدت عليّ فيه، فليستضفها مع عبدانها إلى أرضه وعبيده، والسلام».

فلما وقف عبد الله على كتاب معاوية كتب إليه: «وقفت على كتاب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه فلا عدم الرأي الذى أحله من قريش هذا المحلّ، والسلام». فلما وقف معاوية على كتاب عبد الله رماه إلى ابنه يزيد، وقال له: يا بني، إذا بليت بمثل هذا الداء، فداوه بمثل هذا الدواء»[٢٠٢].

---

[٢٠٠] التوحيدي: البصائر والذخائر، ج٢، ص٤٢-٤٣.

[٢٠١] ورد في الحديث: الزبير ابن عمّتي وحواريّ من أمّتي أي خاصّتي من أصحابي وناصري.

[٢٠٢] التنوخي، أبو الحسن بن علي بن محمد: المستجاد من فعلات الأجواد، القاهرة، دار الجيل، ط١، (١٩٨٥م) ص٢٣-٢٤.

www.mtenback.com

وقد عنيت الثقافة الإسلامية العربية عناية بالغة بما لدى الثقافات الأخرى من آداب سياسية تتعلق بالحكام والمحكومين، والصلة فيما بينهم، ولذلك تنوّعت الحكايات عن الأعاجم وملوكهم، وما كان يتميز به بعضهم من العدل والحرص على إقامة موازين التعامل عل أسس من المحافظة على الرّعية وإسعادها.

ومن ذلك ما روي من أن بعض ملوك الأعاجم خرج إلى نزهة، وانفرد عن أصحابه، وانتهى إلى بستان، فرأى فيه امرأة ذات هيئة، فقال: أيتها المرأة، مثلك لا ينبغي أن يكون في مثل هذا الموضع.؟!

قالت: كذا يكون الناس إذا لم يكن لهم ملك ينظر في أمورهم.

قال: وما ذاك؟!

قالت: إن زوجي مات، وترك عليّ عيالا، وترك ضيعته كنا نعيش بها، فعدا علينا وزير الملك فأخذها، فأتيت القاضي أستعديه، فلم ينصفني، فأتيت الحاجب ليدخلني على الملك، فلم يفعل.

فقال لها: خذي هذا الكتاب، وانطلقي إلى صاحب الشرطة، فأعطيه إياه فإنه سينصفك.

قالت: ما أرجو الإنصاف.

قال: ليس يضرك هذا الكتاب إن لم ينفعك.

وكتب لها كتابًا فمضت إلى صاحب الشرطة، فلما رأى الكتاب قبّله، ودعا الجلادين، وقال لهم: الملك يأمرني أن أقوم فتجلدوني بالسياط حتى يتل عَقِبي من دمي.

ثم قام فضربوه، ثم قال: إن الملك يأمرني أن أسوّد وجهي، وأركب الجمل، ووجهي إلى ذنبه، ويقاد الجمل وأنا عليه، حتى آتي باب الملك.

www.mtenback.com

فلما انتهى إلى باب الملك، قال له الملك: ما حملك على أن أتتك امرأة متظلّمـــة، فلم تنصفها؟

قال: خفت وزيرك.

فعاقب الوزير، ثم ردّ الضيعة على المرأة وولدها، وقال: إن الملك لا يـــدوم إلا بالعدل، وإذا كان بالظلم فذلك غَلّة وليس بملك [٢٠٣].

وإذا كان من واجبات الحاكم أن يعامل الرعية بإحسان، فإن من حقه أن تعامله الرعيّة بما يليق من اللياقة والتوقير. رُوي أن الأصمعي دخل يومًا على هارون الرشـــيد بعد غيبة كانت منه، فقال له الرشيد: «يا أصمعي كيف كنت بعدي؟»

فقال: ما لاقتني بعدك أرض.

فتبسم الرشيد، فلما خرج الناس قال للأصمعي: ما معنى قولك: مـــا لاقتـــني أرض؟

قال: ما استقرت بي أرض، كما يقال: فلان لا يليق شيئًا أي لا يســـتقر معـــه شيء.

فقال الرشيد: هذا حسن، ولكن لا ينبغي أن تكلمني بين يدي النـــاس إلا بمـــا أفهمه، فإذا خلوت فعلمني، فإنه يقبح بالسلطان ألا يكون عالمًا، فإما أن أسكت فيعلـــم الناس أنني لا أفهم إذا لم أجب، وإما أن أجيب بغير الجواب فيعلم من حولي أنـــني لم أفهم ما قلت.

قال الأصمعي: فعلّمني الرشيد يومًا أكثر مما علمته [٢٠٤].

---

[٢٠٣] التوحيدي: البصائر والذخائر، ج٢، ص١٦٠- ١٦١.

[٢٠٤] السيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبد الله: أخبار النحويين البصريين، تحقيق: طه محمد الزيني ومحمد عبد المنعم خفاجي، القاهرة، الحلبي، ط١ (١٩٥٥م) ص٤٩.

www.mtenback.com

وكأن هارون الرشيد في هذه الحكاية البليغة قد أعطى الأصمعي وهو العالم الكبير درسًا في أدب المعاملة، وكأنه يعمل بنصيحة من يقول: «لا تمكّن أهل البلاء الحسن من التدلّل عليك، ولا تمكّن من سواهم من الاجتراء عليهم والعيب لهم»[٢٠٥].

ومن الشواهد على حسن معاملة الخلفاء أنهم كانوا يتخيّرون عمالهم من المتديّنين الكُفاة لإحسان العمل فقد كان عمر إذا استعمل عاملاً أوصاه بتقوى الله وإصلاح الرعية، وكتب عليه كتابًا، وأشهد عليه جماعة من المسلمين ألا يظلم وألا يُغلق بابه دون حاجات الناس[٢٠٦]. وقد أوصى عمر بن عبد العزيز واليًا، فقال: «عليك بتقوى الله فإنها جماع الدنيا والآخرة، و اجعل رعيتك الكبير منهم كالوالد، والوسط كالأخ والصغير كالولد، فَبِرَّ والدك وصِل أخاك، وتلطّف بولدك»[٢٠٧]. ومن الوصايا الجامعة التي استقرت في ضمير الثقافة الإسلامية العربية أن «حق الوالي أن يتفقّد لطيف أمور رعيّته، فضلاً عن جسيمها، فإن للطيف موضعًا ينتفع به، وللجسيم موضعًا لا يستغنى عنه»[٢٠٨].

وكان الكُتاب، وكثير منهم كانوا وزراء أو ولاة، يكتبون فيما يخص الرعيّة، من ذلك ما روي من أن طلاب الحاجات كثروا بباب الخليفة المأمون، وطال انتظارهم لعطاياه، فكتب إليه كاتبه: «إن داعي نَداك[٢٠٩] ومنادي جدواك[٢١٠]، جمعا ببابك الوفود، يرجون نائلك العتيد[٢١١]، فمنهم من يَمُتُّ بحُرمة، ومنهم من يدلي بسالف

---

[٢٠٥] ابن المقفع: الأدب الكبير، ص١٣، والتدلّل هو إفراط الإنسان على أخيه للوثوق بمحبته وميله.

[٢٠٦] الحوفي: تحت راية الإسلام، انظر: ص٩٥.

[٢٠٧] الراغب:محاضرات الأدباء، ج١، ص٨٠.

[٢٠٨] ابن المقفع الأدب الكبير، ص٢٥

[٢٠٩] الندى: الجود والسخاء.

[٢١٠] الجدوى: العطاء.

[٢١١] النائل: المعروف. العتيد: الحاضر لمع الجسيم.

www.mtenback.com

خدمة، وقد أجحف[٢١٢] بهم المقام، وطالت عليهم الأيام، فإن رأى أمير المؤمنين أن ينعشهم بسيبه[٢١٣]، ويحقّق حسن ظنهم بطوله، فعل، إن شاء الله تعالى»[٢١٤].

وقد أحسن الكاتب في تعبيره وتلطف في مخاطبته، بما دلّ على أنه سائس حكيم يعرف كيف يصرف شؤون الدولة وينفّذ سياستها ويرد الأمور الى نصابها، وهو دور خطير يقوم به الولاة وخصوصًا الكُتّاب، يصدق عليه قول القائل: «بالأقلام تساس الأقاليم» [٢١٥].

ويحسن الوقوف عند بعض الفصول التي تظهر التمسك بالعدل، والقسوة على كل عامل ظالم متعنّت لا يتقي الله، منها رسالة بليغة كتبها كاتب ينصف أناسًا تظلموا، فتحدث في أولها عن حكمة الله في خلقة، لأنه عزّ وجل جعل من قوة السلطان مانعًا يحول بين المفسدين وما تسوّل لهم نفوسهم من الظلم وارتكاب الكبائر، قال: «أما بعد فإن الله جلّ ثناؤه جعل عز السلطان في أرضه معاذًا يلجأ إليه من اضطهد بقوّة، أو عُدِي عليه بمظلمة، وحجابًا بين الساعين بالفساد وبين ما يتشوّفون إليه، ويتنازعون نحوه من ركوب الكبائر وانتهاك المحارم وموئلاً لمن استُرِقُوا من أهل الضعف بالعدوان والعسف»[٢١٦].

---

[٢١٢] أجحف: أضر وقارب.

[٢١٣] السيب: العطاء.

[٢١٤] الحصري، أبو إسحاق إبراهيم بن علي: زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق: علي محمد البجاوي، القاهرة، الحلبي، ط١ (١٩٥٣) ج١، ص٤٣٦-٤٣٧.

[٢١٥] الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل: الإعجاز والإيجاز، القاهرة، المطبعة العمومية، ط١(١٨٩٧م) ص١٠١؛ خاص الخاص، بيروت، الحياة (١٩٦٦م) ص٨ وأقاليم الأرض أقسامها، واحدها إقليم.

[٢١٦] المعاذ: الملجأ والمعتصم، عُدِي عليه: ظُلِم، يتشوّفون: يتطلّعون، الموئل: الملجأ، استرقّه: ملكه وعامله معاملة الأرقّاء، العسف: الظلم.

www.mtenback.com

وقد أشار الكاتب في رسالته إلى إنكار الخليفة ما بلغه من ظلم بعض أعوانه، فنصح العامل نصحًا يهديه إلى الطريقة المثلى، وذكّره بواجب الولاة نحو الملهوفين وإعانتهم، ونحو المعتدين والأخذ على أيديهم، فقال: «والولاة مسؤولون عمّا خُوِّلوا، مرتهنون بما حُمِّلوا، يكفّهم عزل أو يوبقهم جَوْر»[٢١٧].

ومّما كتب في توبيخ عامل لم ينصف ولم يعدل: «لو لم يكن العدل من شيمتك والإنصاف من خليقتك، لكان يجب عليك في قدر نعمة الله عندك أن تتّخذهما عتادًا ليومك وذخرًا لغدك، فكيف وقد جعلهما الله باطنًا ولباسًا ظاهرًا؟!»[٢١٨].

وتغص المؤلفات بحكايات أبطالها وزراء أو ولاة أو سراة أو قضاة أو غيرهم ممن بلغوا شأوًا في المعاملة الحسنة والحظوة بحب الناس وامتنانهم. ومن ذلك أن محمد بن حميد الطوسي كان على غدائه يومًا مع جلسائه، وإذا بضجّة عظيمة على باب داره، فرفع رأسه وقال لبعض خدمه: «ما هذه الضجة؟ من كان على الباب فليدخل». فخرج الخادم، ثم عاد إليه، وقال: إن فلانًا أُخذ، وقد أوثق بالحديد، والغلمان ينتظرون أمرك فيه.

فرفع يده عن الطعام، فقال رجل من جلسائه: الحمدلله الذي أمكنك من عدوّك، فسبيله أن تسقي الأرض من دمه.

وأشار كلٌّ من جلسائه عليه بقتله، على صفة اختارها، وهو ساكت، ثم قال: يا غلام فكّ عنه وثاقه، ويدخل إلينا مُكرمًا.

فأُدخل عليه رجل لا دم فيه، فلما رآه هشّ له، ورفع مجلسه، وأمر بتجديد الطعام، وبسطه بالكلام، ولقّمه[٢١٩] حتّى انتهى الطعام، ثم أمر له بكسوة حسنة

---

[٢١٧] صفوت: جمهرة رسائل العرب، ج٣، ص٣٧٥-٣٧٦. والعذل: اللوم، يوبقهم: يهلكهم.

[٢١٨] صفوت: جمهرة رسائل العرب، ج٣، ص٣٧٥. وشيمتك: خلقك وطبيعتك، الذخر: ما يخبئه الإنسان ويتخذه لوقت الحاجة.

[٢١٩] يريد «أطعمه».

www.mtenback.com

وصلة، وأمر بردّه إلى أهله مكرمًا، ولم يعاتبه على جرم ولا خيانة، ثم التفت إلى جُلسائه وقال لهم: إن أفضل الأصحاب من حضّ الصاحب على المكارم، ونهاه عن ارتكاب المآثم، وحسّن لصاحبه أن يجازي الإحسان بِضِعْفِه، والإساءة بصَفْحِه، إنّا إذا جازينا من أساء إلينا بمثل ما أساء فأين موقع الشكر من النعمة فيما أُتيح من الظفر!! إنه ينبغي لمن حضر مجالس الملوك أن يُمسك إلا عن قول سديد وأمر رشيد، فإن ذلك أدوم للنعمة وأجمع للألفة، إن الله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[٢٢٠].

ومن الحكايات الدالة على حسن معاملة الوزراء أن رجلاً اتصلت عطلته وانقطعت مدته، فزوّر كتاباً من ابن الفرات إلى أبي زنبور المادرائي عامل مصر تَضمَّن الوصاية به والتأكيد في الإقبال عليه، والإحسان إليه، وخرج إلى مصر فلقيه به، فارتاب أبو زنبور في أمره لتغير الخطاب على ما جرت به العادة، وكون الدعاء أكثر مما يقتضيه محله، فرعاه مراعاة قريبة، ووصله بصلة قليلة، واحتبسه عنده على وعد وعده به، وكتب إلى ابن الفرات يذكر الكتاب الوارد عليه، وأنفذه بعينه إليه واستثبته فيه.

فوقف ابن الفرات على الكتاب المزوّر، فوجد فيه ذكر الرجل وأنه من ذوي الحرمات والحقوق الواجبة عليه وغير ذلك ممّا قد استوفى الخطاب فيه، فعرض ابن الفرات الكتاب على كتابه، وعرّفهم الصورة فيه، وعجب إليهم منها وممّا أقدم عليه الرجل، وقال لهم: ما الرأي في أمر هذا الرجل عندكم؟.

فقال بعضهم: تأديبه أو حبسه.

---

[٢٢٠] النويري: نهاية الأدب، السفر السادس (١٣٤٥هـ/١٩٢٦م) ص٦٣. والآيتان ٧٠-٧١ من سورة الأحزاب.

www.mtenback.com

وقال آخر: قطع إبهامه، لئلا يعاود مثل هذا، ولئلا يقتدي به غيره فيما هو أكثر من هذا.

وقال أحسنهم محضرًا: يُكشف لأبي زنبور قصته، ويُرسم له طرده وحرمانه.

فقال ابن الفرات: ما أبعدكم عن الحريّة والخيرية! وأنفر طباعكم عنها! رجل توّسل بنا وتحمل المشقّة إلى مصر في تأميل الصلاح بجاهنا، ويكون أحسن أحواله عند أحسنكم محضرًا تكذيب ظنه وتخييب سعيه، والله لا كان هذا أبدًا.

ثم إنه أخذ القلم من دواته، ووقّع على الكتاب المزّور: «هذا كتابي، ولست أعلم لم أنكرت أمره، واعترضتك شبهة فيه؟ وليس كل من خدمنا وأوجب حقًّا علينا تعرفه، وهذا رجل خدمني في أيام نكبتي، وما أعتقده في قضاء حقّه أكثر ممّا كلفتُك في أمره من القيام به، فأحسن تفقده، ووفّر رفده[٢٢١] وصرفّه فيما يعود عليه نفعه، ويصل إلينا بما يتحققّ به ظنه، ويتبين موقعه».

ورد الكتاب إلى أبي زنبور عامل مصر من يومه، فلّما مضت على ذلك مدة طويلة دخل يومًا على الوزير ابن الفرات رجلٌ ذو هيئة مقبولة وبّزة جميلة وأقبل يدعو له ويثني عليه ويبكي ويقبّل الأرض، فقال ابن الفرات: من أنت؟ بارك الله فيك؟.

فقال: أنا صاحب الكتاب المزوّر إلى ابن زنبور عامل مصر، الذي صححه كرم الوزير وتفضّله.

فضحك ابن الفرات، وقال: «كم وصل إليك منه؟»

قال: وصل إليّ من ماله، وتقسيط قسطه لي عمّاله ومعامليه، وبتصرف صرّفني فيه، عشرون ألف دينار.

فقال ابن الفرات: الحمد الله، الزمنا، فإنا نعرّضك لما يزداد به صلاح حالك.

---

[٢٢١] الرّفد: العطاء والصلة والمعونة.

www.mtenback.com

ثم اختبره فوجده كاتبًا سديدًا، فاستخدمه وأكسبه مالاً جزيلاً [٢٢٢].

ومن طرف حسن المعاملة ماقوبلت به امرأة شكت همومها إلى عبيد الله بن أبي بكرة قائلة: أصلح الله الأمير وأمتع به، حدرتنا إليك سنة اشتدّ بلاؤهـــا، وانكشـــف غطاؤها، فجئتك أقود صبية صغارًا وأخرى كبارًا تَخفضنا خافضة، وترفعنـــا رافعـــة، وغشيتني مُلمّات بَرَيْنَ عظمي، وأذهبن لحمي، وتركنني بالحضيض، قد ضاق بي البلـــد العريض، وسألت في أحياء العرب: من المرتجى والمعطي ســـائله؟ فدُللـــت عليـــك - أصلحك الله - وأنا امرأة من هوازن، قد مات الوالد وغاب الوافد، وأنـــت بعـــد الله نجاتي ومنتهى أملي، فافعل بي إحدى ثلاث: إمّا أن تردنـــي إلى بلـــدي ، أو تحســـن صَفَدي أو تقيم أودي».

فقال: «بل أجمعهن لك وحيًّا».

فلم يزل يجري عليها، كما يجري على عياله، حتى مات[٢٢٣].

ومن حسن المعاملة العدل في القضاء والأمانة فيه وذلك حين يعامل القضاة مـــن يحتكمون إليهم بالعدل، فينشرون الأمن ويبعثون الطمأنينـــة، روي أن ابنًـــا لشـــريح القاضي قال لأبيه: إن بيني وبين قوم خصومة فانظر في الأمـــر فـــإن كـــان الحـــق لي خاصمتهم[٢٢٤]، وإن لم يكن لي الحقّ لم أخاصم.

ثم قصّ قصته عليه، فقال شريح: انطلق فخاصمهم.

فانطلق إليهم فخاصمهم، فقضى شريح على ابنه وحكم ضدّه، فقال ابنه لـــه لّمـــا رجع إلى أهله: والله لو لم أتقدم إليك بطلب النصح لم أُلمك. فضحتني.

---

[٢٢٢] هذه رواية الحموي وذكر أنها من كتاب الأماثل والأعيان ومنتدى العواطف والإحسان لهلال بن المحسّن ابن الصابي - معجم الأدباء، ج١٩، ص٢٩٤-٢٩٧ ؛ التنوخي: نشوار المحاضرة، ج١، ص٥٧-٥٩.

[٢٢٣] التوحيدي: البصائر والذخائر، ج٣، ص٧٤-٧٥.

[٢٢٤] خاصمتهم: جادلتهم ونازعتهم، والمراد: قاضيتهم.

www.mtenback.com

فقال شريح: يا بنّي، والله لأنت أحب إلي من ملء الأرض مثلهم، ولكنّ الله هو أعزُّ عليّ منك. خشيت أن أخبرك أن القضاء عليك فتصالحهم على مال فتذهب ببعض حقّهم[٢٢٥].

و لم يقتصر حسن المعاملة في تراثنا على الفضلاء من الناس بل عمَّ اللصوص والسراق، فقد روي أن رجلاً سرق درة رائعة لجعفر بن سليمان الهاشميّ، وباعها السارق ببغداد بمال جليل، فعرفها أصحاب الجوهر، وكان قد تقدّم إليهم في البحث عنها.

فحملوا الرجل إلى جعفر، فلما بصر به عرفه واستحيا منه، فقال للسارق: ألم تكُ طلبت منيّ هذه الجوهرة فوهبتها لك؟

قال: بلى أصلح الله الأمير.

فقال: لا تتعرضّوا له.

فباعها الرجل بمال عظيم.

وروي أن سليمان بن عبد الملك خرج أيام أبيه لنزهة، فقعد يتغنى مع جماعة، فلمّا حان انصرافه، شُغل حشمه بالترحال، فجاء رجل فوجد منهم غفلة، فأخذ دُوّاج سليمان (وهو ضرب من الثياب يلبسه)، فألقاه على عاتقه، وسليمان ينظر إليه، فصاح به بعض الحشم: ألق ما معك، ويلك!

قال: ولا كرامة، قد خلعه عليّ الأمير.

فضحك سليمان، وقال: أنا كسوته.

---

[٢٢٥] أمين، حسين أحمد: ألف حكاية وحكاية من الأدب العربي القديم، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، (١٩٩٨م) ص١١. نقلاً عن الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد.

www.mtenback.com

ورُوي أيضًا أن رجلاً استلب رداء طلحة بن عبيد الله، فذهب ابن أخيه يتبعه، فقال له طلحة: دعه، فما فعل هذا إلا من حاجة[٢٢٦].

ومن الحكايات ذات الطابع الثقافي الواسع الانتشار بين الخاصة والعامة، والكبار والناشئة حكايات «كليلة ودمنة»، التي تتميز بتوجّهاتها الأخلاقية الواضحة، وأحداثها المتجهة دومًا إلى أن حسن المعاملة سبيل إلى الخير وإصلاح المجتمع، وقد دارت أحداث هذه الحكايات وأفكارها على ألسنة الحيوانات والطيور مستفيدة في ذلك مما لدى الشعوب الأخرى كالهنود والفرس من مؤلفات سلوكيات يمكن أن تطابق مثل تلك الأفكار.

فحكاية الحمامة المطوقة[٢٢٧] مثلاً تعبر عن طبيعة العلاقة داخل الجماعة الواحدة بين الرئيس والمرؤوسين، وبين المرؤوسين فيما بينهم، وبين هؤلاء جميعًا وأفراد المجتمعات الأخرى لما ينبغي أن يقوم بينهم من حسن معاملة وتواصل وتعاون وإسعاف... تقول الحكاية:

قال دبشليمُ الملك لبيدبا الفيلسوف: قد سمعتُ مثل المتحابين كيف قطع بينهما الكذوب وما صار إليه عاقبة أمره من بعد ذلك، فحدِّثْنِيّ إن رأيت عن إخوان الصفاء كيف يبتدئ تواصلهم.

قال الحكيم: إن العاقل لا يعدل بالإخوان شيئًا، فهم الأعوان على الخير كله، والمواسون عندما ينوب من المكروه، ومن أمثال ذلك مثل الحمامة المطوقة والجرذ[٢٢٨].

---

[٢٢٦] التوحيدي: البصائر والذخائر، ج٢، ص ٢٤٤-٢٤٥. وورد بعض هذه الحكايات في كتاب «التاج في أخلاق الملوك» المنسوب إلى الجاحظ، أبي عثمان عمرو بن بحر، تحقيق: أحمد زكي باشا، القاهرة، الأميرية، ط١(١٣٣٢هـ/١٩١٤م) ص١٠٤.

[٢٢٧] كأنه قد أحاط برقبة تلك الحمامة ريش أو شيء كالطوق، ومنه قيل للحمامة: ذات طوق.

[٢٢٨] المواسون: المسلُّون المُعينون - ينوب: ينزل ويصيب- الجُرذ: الكبير من الفئران.

www.mtenback.com

قال الملك: وكيف كان ذلك؟

قال بيدبا: زعموا أنه كان بأرض كذا، عند مدينة كذا، مكان كثير الصيد، ينتابه الصيادون، وكان في ذلك المكان شجرة كثيرة الأغصان، ملتفة الورق، فيها وكر غراب، فبينما هو ذات يوم ساقط في وكره، إذ بصر بصياد قبيح المنظر سيِّئ الخلق، وقبح منظره يدل على سوء مَخبره، على عاتقه شبكة، وفي يده عصا، مقبلاً نحو الشجرة، فذعر الغراب، وقال: لقد ساق هذا الرجل إلى هذا المكان إما حيني، وإما حين غيري، فلأثبتن في مكاني حتى أنظر ماذا يصنع؟![٢٢٩].

ثم إن الصياد نصب شبكته، ونثر عليها الحَب، وكمن قريبًا منها، فلم يلبث إلاّ قليلاً حتى مرّت به حمامة يقال لها المطوقة، وكانت سيدة الحمام، ومعها حمام كثير، فعميت هي وصاحباتها عن الشَّرك، فوقعن على الحبِّ يلتقطنه، فعلقن في الشبكة كلهن، وأقبل الصياد فرحًا مسرورًا، فجعلت كلّ حمامة تتلجلج في حبائلها، وتلتمس الخلاص لنفسها [٢٣٠].

قالت المطوقة: لا تخاذلن في المعالجة[٢٣١]، ولا تكن نفس إحداكن أهم إليها من نفس صاحبتها، ولكن نتعاون جميعنا ونطير كطائر واحد، فينجو بعضنا ببعض.

فجمعن أنفسهن، ووثبن وثبة واحدة، فقلعن الشبكة جميعهن بتعاونهن، وعَلوْن بها في الجوّ، و لم يقطع الصياد رجاءه منهن، وظن أنهن لا يجاوزن[٢٣٢] إلا قريبًا حتى يقعن.

---

[٢٢٩] ينتابه: يقصده مرة بعد أخرى أو يتردّد عليه – ساقط يعني مقيم – مَخبره أي باطنه أو ما يختبر منه في ذاته – العاتق المنكب والعنق – الحَيْن: الهلاك و المحنة.

[٢٣٠] كمن: توارى واستخفى في مكمن لا يُفطن له – سيدّة الحمام: المتولّية للجماعة الكثيرة ومن يفترض أن تطاع – عميت عن الشَرك: يريد أنها لم تر حبالة الصيد – تتلجلج: تضطرب وترتبك – الحبائل: جمع الحبالة وهي المصيدة

[٢٣١] لا تخاذلن: لا تضعفن ولا تتخلّين عن نصرة بعضكن بعضًا – ....: المدافعة والمغالبة.

[٢٣٢] لا يجاوزن: لا يتعّدين ولا يسرن.

www.mtenback.com

فقال الغراب: لأتبعهن وأنظر ما يكون منهن.

فالتفتت المطوقة فرأت الصياد يتبعهن، فقالت للحمام: هذا الصياد جاد في طلبكن، فإن نحن أخذنا في الفضاء لم يخف عليه أمرنا، و لم يزل يتبعنا، وإن نحن توجهنا إلى العمران[٢٣٣] خفي عليه أمرنا وانصرف وبمكان كذا جرذ، وهو أخ لي، فلو انتهينا إليه[٢٣٤] قطع عنا هذا الشرك.

ففعلن ذلك وأيس الصياد منهن وانصرف، وتبعهن الغراب لينظر إليهن لعله يتعلم منهن حيلة تكون له عدة عند الحاجة [٢٣٥].

فلما انتهت الحمامة عند الجرذ أمرت الحمام أن يقعن فوقعن وكان للجرذ مائة جحر أعدّها للمخاوف، فنادته المطوّقة باسمه فأجابها الجرذ من جحره: من أنت؟

قالت: أنا خليلتك المطوقة.

فأقبل إليها الجرذ يسعى، فقال لها: ما أوقعك في هذه الورطة؟!

قالت: ألم تعلم أنه ليس من الخير والشرّ شيء إلاّ وهو مقدّر على من تصيبه المقادير، وهي التي أوقعتني في هذه الورطة، فقد لا يمتنع من القدر من هو أقوى منيّ وأعظم أمرًا، وقد تنكسف الشمس وينخسف القمر إذا قضى ذلك عليهما، ثمّ إن الجرذ أخذ في قرض العقد الذي فيه المطوقة، فقالت له: ابدأ بقطع عقد سائر الحمام وبعد ذلك أقبل على عقدي.

وأعادت عليه ذلك مرارًا، وهو لا يلتفت إلى قولها، فلما أكثرت عليه القول وكررّت، قال لها: كررّت القول عليّ، كأنك ليس لك في نفسك حاجةٌ، ولا لك عليها شفقة ولا ترعين لها حقًّا.

---

[٢٣٣] العمران: الأماكن المعمورة بالبنيان.

[٢٣٤] انتهينا إليه: وصلنا إليه.

[٢٣٥] أيس: يئس وانقطع رجاؤه – العُدّة: ما أعدّ لأمر يحدث.

www.mtenback.com

قالت: إني أخاف إن أنت بدأت بقطع عقدي أن تمل وتكسل عن قطع ما بقي، وعرفت أنك إن بدأت بهن قبلي وكنت أنا الأخيرة لم ترض، وإن أدركك الفتور أن أبقى في الشرك.

قال الجرذ: هذا مما يزيد الرغبة فيك والمودّة لك.

ثم إن الجرذ أخذ في قرض الشبكة حتى فرغ منها، فانطلقت المطوقة، وحمامها معها، فلما رأى الغراب صنيع الجرذ رغب في مصادقته فجاء وناداه باسمه، فأخرج الجرذ رأسه، وقال له: ما حاجتك؟.

قال: إني أريد مصادقتك.

قال له الجرذ: ليس بيني وبينك تواصل وإنما العاقل ينبغي له أن يلتمس ما يجد إليه سبيلاً، ويترك التماس ما ليس له سبيل، كمن أراد أن يجري السفن في البّر والعجل في البحر، فإن أنت إلاّ آكلٌ، وأنا طعام لك.

قال الغراب: إن أكلي إياك - وإن كنت لي طعامًا - لا يغني عني شيئًا، وإن مودتك آنس لي مما ذكرت..»[٢٣٦].

ولهذه الحكاية مغازٍ كثيرة منها أن حسن المعاملة تزيد المودّة وتعين على تواصل الأصدقاء، الذين ينفعون أوقات الشدة وينقذون من المكاره.

وكانت رئيسة الحمام مثالاً في معاملة رعيتها، فقد نصحت وطمأنت والتمست طريق الخلاص وعلّمت كيف يكون التعاون والعمل الجماعيّ.

وكانت الحمامات مثالاً في الثقة بقائدتهن والاطمئنان إلى رجاحة عقلها وحرصها على ابتغاء الصالح والنجاة من الورطة.

وقد استفادت المطوقة من صداقتها القديمة مع الجرذ، وذهبت إليه تستعينه فاستجاب لها، ومما يبعث على الإعجاب أن الجرذ حينما أراد أن يخلصها أولاً رفضت

---

[٢٣٦] ابن المقفع: كليلة ودمنة، بيروت، مكتبة الحياة (١٩٨٢م) ص٢٣٤-٢٣٩

www.mtenback.com

المطوقة بشدة وألحت في رفضها وطلبت منه أن يبدأ بإنقاذ سائر الحمام مخافة أن يكسل عن تخليصهن إن هو خلصها من الشرك أولاً.

ومن الطبيعي أن هذه المعاملة المثالية في الحسن تعد مثالاً وقدوة للآخرين، ذلك أن الغراب ظل متربصًا ينظر ويتأمل ويكتسب العبر، فعرف قيمة الصداقة وتخلى عن عادته القديمة في التهام الفئران، فمودة الفأر أنفع له من أكله.

الحيوان

ليس ثمة أروع ولا أدعى إلى استثارة مشاعر الرحمة والشفقة والإحساس بالتعاطف من تلك التوجيهات الحاثة على الرفق بالحيوان وترك إيذائه وتعذيبه.

ولقد نهى الرسول الكريم ﷺ عن التحريش بين البهائم وإغرائها وتهييج بعضها على بعض كما يفعل العابثون بين الجمال والكباش والديوك وغيرها[٢٣٧].

وقد ضرب النبي مثلاً في الرحمة بالحيوان حين قال: «إن امرأة عذّبت في هرّة، حبستها و لم تطعمها أو تسقها أو أرسلتها طليقة تأكل من خشاش الأرض»[٢٣٨].

ومما أضافه الرواة من الحكايات التي تدل على الروح النازعة إلى إحسان التعامل مع الحيوان الأعجم حكاية حكاها أحدهم ومفادها أنه رأى في منامه أحد المعروفين بالتقوى والصلاح بعد وفاته، فقال له: ما فعل الله بك؟.

قال: أوقفني بين يديه وقال لي أتدري بماذا غفرت لك؟

فقلت: بصالح عملي.

فقال: لا

فقلت: بإخلاصي في عبوديتي

---

(٢٣٧) التوحيدي: البصائر والذخائر، ج١، ص ٢٥٧.

(٢٣٨) انظر نص الحديث في: ابن حجر: فتح الباري، ج٧، ص ٣٨٨ ؛ ج٩، ص٥٧١ ؛ ج١٠، ص٣٠٩-٣١٠. خشاش الأرض: حشراتها.

www.mtenback.com

قال: لا

قلت: بحجي وصومي وصلاتي.

قال: لم أغفر لك بذلك.

فقلت: بهجرتي إلى الصالحين وإدامة أسفاري في طلب العلوم.

فقال: لا

فقلت: يارب، هذه المنجيات التي كنت أعقد عليها خنصري[٢٣٩]، وظني أنك بها تعفو عني وترحمني.

فقال: كل هذه لم أغفر لك بها.

فقلت: إلهي، فبماذا؟

قال: أتذكر حين كنت تمشي في دروب بغداد فوجدت هرة صغيرة قد أضعفها البرد والثلج، فأخذتها رحمة لها، فأدخلتها في فرو كان عليك، وقاية لها من ألم البرد.

فقلت: نعم

فقال: برحمتك لتلك الهرة رحمتك[٢٤٠].

ومن الأحاديث النبوية ذات الدلالات السامية على حسن معاملة الحيوان وسقيه والشفقة به ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «بينا رجل يمشي، فاشتدّ عليه العطش، فنزل بئرًا، فشرب منها، ثم خرج، فإذا هو بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال: لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي، فملأ خفه، ثم أمسكه بفيه، ثم رقى، فسقى الكلب، فشكر الله له، فغفر له.

قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم أجرًا؟

---

[٢٣٩] يقال هذا أمر أعقد عليه خنصري أي أعتدّ به وأحتفظ به.

[٢٤٠] الدميري، أبو البقاء، كمال الدين محمد بن موسى، بن عيسى: حياة الحيوان الكبرى، القاهرة، الشرفية،(١٣١٣هـ)، ج٢، ص٣١٧. وذكر أن الحكاية نقلها من تاريخ ابن عساكر.

www.mtenback.com

قال: في كل كبد رطبة أجر[٢٤١].

ولهذه المعاملة الشفيقة شواهدها في حكايات العرب، ومنها أنّ عبد الله بن جعفر خرج إلى ضيعة له، فنزل على نخل قوم، فيها غلام أسود يقوم عليه، فأتى بثلاثة أقراص من الخبز، فدخل كلب، فدنا منه، فرمى إليه بواحد فأكله، ثم رمى إليه بالثاني والثالث فأكلهما، وعبد الله ينظر إليه، فقال: يا غلام، كم قوتك كلّ يوم؟

قال: ما رأيت.

قال: فلم آثرت الكلب؟!

قال: لأن أرضنا ما هي بأرض كلاب، وإخاله جاء من مسافة بعيدة جائعًا، فكرهت ردّه.

قال: فما كنت صانعًا اليوم؟

قال: أطوي[٢٤٢] يومي هذا.

فقال عبد الله بن جعفر: أُلاَمُ على السخاء، والله إن هذا لأسخى مني.

فاشترى النخل والعبد وأعتقه، ووهب ذلك له [٢٤٣].

وقد بلغت شفافية بعضهم درجة عالية حتى إن من المحدثين من أجار كبشًا وحماه من الذبح. «روي أن الشاعر محمد العوني، كان يقيم في مدينة الكويت عام ١٣١٧هـ، وبينما كان جالسًا في منزله ينظم بعض قصائده الحماسية، حاصرًا فكره

---

[٢٤١] ابن حجر: فتح الباري، ج ٧، ص ٣٨٥ ويلهث: يخرج لسانه من العطش والإعياء، رقى: صعد، كبد رَطْبَة أي حيّة، والمراد رطوبة الحياة.

[٢٤٢] طوى فلان وأطوى: جاع.

[٢٤٣] جاد المولى، محمد أحمد: الخلق الكامل، القاهرة، حجازي والعثمانية، (١٣٥١هـ/١٩٣٢م) ج٢، ص٣٠١.

www.mtenback.com

في هذه الناحية، فوجئ بدخول كبش جاءه يجري، فقام ليطرده ويقفل الباب، إلاّ أنه قبل أن يفعل سمع صوت رجل يقرع الباب، ويقول: «أَخْرج إليّ كبشي».

فراح وقبض على الكبش، وجاء ليسلّمه لصاحبه، لكنه عندما وصل إلى الباب وجد صاحب الكبش حاملاً مدْيته بيده، فسأله العوني ما الأمر؟

فأجابه جوابًا فهم منه أن صاحب الكبش جزار، وأنه يريد أن يذبحه ليبيع لحمه، وعندئذ صاح العوني قائلاً: «كنت على أتمّ الاستعداد لأن أسلمك الكبش ظانًّا أنك رجل من رعاة الغنم، وأن الغاية من رغبتك في استلامه هي العناية به. لكن ما دمت جزارًا وتقصد ذبحه فلن أسلّمه إليك لأنني أعدّ دخوله منزلي في حالة كهذه معناه أنه لائذ بجواري.

فقال الجزار: هذا حيوان، وليس بالإنسان الذي يعرف معنى الجوار أو الاستجارة.

فرد عليه العوني: حرمة الجوار ليست مقصورة على الإنسان، فالغاية التي تدفع المستجير إلى الاستجارة هي عجزه عن الدفاع عن نفسه، ومثل هذا الحيوان أولى بالحماية لأنه أعجز من أن يدافع عن نفسه.

فقال الجزار: لك أن تحميه كما تريد، وإنما الذي يهمني هو أن تدفع لي ثمنه بكامله، كما تدفع لي الربح الذي أتوقعه إذا ذبحته وبعته لحمًا.

ودفع العوني ثمن الكبش كاملاً، والكسب الذي كان يتوقعه الجزار، وألقى الكبش في منزلة يطعمه ويسقيه، وعندما اضطرّ للسفر، وترك الكويت استدعى بدويًّا أمينًا وأودع الكبش عنده بعد أن أخذ عليه عهدًا بألا يمس الكبش بسوء إلى أن توافيه منيّته[٢٤٤].

---

[٢٤٤] زناتي، محمود سلام: نظام الجوار أو حقّ اللجوء في الأعراف القبليّة العربية المعاصرة، الرياض، سفير، ط١ (١٤١٤هـ)، ص٨-١٠.

www.mtenback.com

أثر حسن المعاملة في المجتمع والفرد:

لا تنهض المجتمعات بدون أخلاق رفيعة عمادها حسن المعاملة[٢٤٥]، وهل ينهض البازي بغير جناح[٢٤٦] فالآداب والسجايا الحميدة مناط الفخر والاعتزاز، يقول الشاعر:

كُنِ ابْنَ مَنْ شِئْتَ وَاكْتَسِبْ أَدَبًا ... يُغْنِيكَ مَحْمُودُهُ عَنِ النَّسَبِ

إِنَّ الْفَتَى مَنْ يَقُولُ: هَاأَنَذَا ... لَيْسَ الْفَتَى مَنْ يَقُولُ كَانَ أَبِي

وبحسن المعاملة يحيا الفرد سعيدًا هنيئًا، يراعي الآخرين، ويلقى من يقدر مشاعره ويحترم مكانته ويحسّ أنه وسط مجتمع تسوده الرحمة والمودّة، يقول المثل: «من لانت كلمته وجبت محبته»[٢٤٧] والناس توجه الشكر إلى من يحسن تقديم الخير، و«من زرع المعروف حصد الشكر»[٢٤٨] ويلهجون به ويثنون على حسن أقواله وجميل أفعاله، يقول المثل أيضًا ينصح بطيب السيرة وحميد الشيمة: «طَعْمُ ذِكْرِك معسول بكل فم»[٢٤٩].

ويجازى الفرد بما يعمل، فإن كان خيرًا يلق خيرًا، وإن كان سوءًا فلن يقابل إلاّ بمثله، وفي مثل هذا المعنى ينسب إلى عمر بن عبد العزيز أنه قال: «من يزرع خيرًا يوشك أن يحصد غبطة، ومن يزرع شرًا يوشك أن يحصد ندامة»[٢٥٠] وقريب منه في

---

[٢٤٥] ولا ريب في أن حسن المعاملة في مجالات الإدارة والتجارة مما اعتنى به العلماء لحيوية موضوعاته وأهميته فأقيمت حوله الأبحاث والمقررات الدراسية، التى لا بدّ أن يجتازها بنجاح كلّ من يريد أن يؤهل نفسه للعمل في ميادين العمل التي تتطلب الأخذ والعطاء .

[٢٤٦] الميداني: مجمع الأمثال، ج٢، ص ٤٠٤. والبازي: ضرب من الصقور التي تصيد.

[٢٤٧] الميداني: مجمع الأمثال، ج٢، ص٣٢٩.

[٢٤٨] الميداني: مجمع الأمثال، ج٢، ص ٣٢٨.

[٢٤٩] الميداني: مجمع الأمثال، ج١، ص ٤٣٤. ويقال طعام مُعْسُول ومعسّل إذا جُعل فيه العسل.

[٢٥٠] الميداني: مجمع الأمثال، ج٢،ص ٤٥٦ والغبطة: المسرّة وحسن الحال.

www.mtenback.com

المعنى قولهم: «من خدم الرجال خُدم»[٢٥١] ويقال أيضًا: «وجدت الناس إن قارضتهم قارضوك»، أي: «إن أحسنت إليهم أحسنوا إليك، وإن فعلت بهم سوءًا فعلوا بك مثله»[٢٥٢].

وجزاء العمل الطيب جزيل عند الله وعند الناس، وثمرته متاحه، وكسبه مضمون، يقول الشاعر[٢٥٣]:

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لاَ يَعْدَمْ جَوَازِيَهُ لاَ يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللهِ وَالنَّاسِ

ويحفظ الخير الإنسان من الهلاك وينأى به عن الشرور، ذلك أن «اصطناع المعروف يقي مصارع السوء»[٢٥٤] بل إن ذلك الخير ضامن للفوز واثق من النجاة والنجاح لأن «صاحب المعروف لا يقع فإن وقع وجد مُتَّكأً»[٢٥٥].

ومن فضل حسن المعاملة قول الناس: «أَحْسِنْ وأنت مُعان»[٢٥٦] أي أن المحسن في أيّ شكل من أشكال الإحسان غير خاسر أو مخذول بل هو كاسب منصور، يقتدي به من حوله ويتأثرون به ويأخذون عنه وينسجون نسجه، فالتينة تنظر إلى التينة فتينع[٢٥٧].

---

[٢٥١] الميداني: مجمع الأمثال، ج٢، ص ٣٣٠.

[٢٥٢] الميداني: مجمع الأمثال، ج٢، ص ٣٣٦.

[٢٥٣] هذا البيت للحطيئة – ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج٣، ص ١٧٩ والشطر الثاني في مجمع الأمثال للميداني، ج٢، ص ٢٤١.

[٢٥٤] الميداني: مجمع الأمثال، ج١، ص ٤٠٨.

[٢٥٥] ينسب هذا القول لابن عباس، ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج٣، ص ١٥٧؛ الميداني: مجمع الأمثال، ج١، ص٤٥٥.

[٢٥٦] الميداني: مجمع الأمثال، ج١ ص ٢١٤.

[٢٥٧] الميداني: مجمع الأمثال، ج١، ص ١٥١ وتينع أى تطيب ويحين قطافها.

www.mtenback.com

ويرى المقنع الكندي أن الجود على الأهل والرفق بالصغار ومطاوعة الكبار، مع اللين والدماثة – وكلّ ذلك من أشكال حسن المعاملة – يوصّل الإنسان إلى السيادة والرئاسة والمنزلة السامية، يقول[٢٥٨]:

وإِذَا رُزِقْتَ مِنَ النَّوافِلِ ثَرْوَةً ... فَامنَحْ عَشِيرَتَكَ الأَدَانِيَ فَضْلَهَا

وَاسْتَبْقِهِمْ لِدِفَاعِ كُلِّ مُلِمَّةٍ ... وَارفِقْ بِنَاشِئِهَا وَطَاوِعْ كَهْلَهَا

وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ لَنْ تُسَوَّدَ فِيهِمُ ... حَتَّى تُرَى دَمْثَ الخَلاَئِقِ سَهْلَهَا

وحسن المعاملة يُبقي الذّكر ويُخلّد الأثر، يقول محمود الورّاق[٢٥٩]:

المَرْءُ بَعْدَ المَوْتِ أُحْدُوثَةٌ ... يَفْنَى وَتَبْقَى مِنْهُ آثَارُهُ

فَأَحْسَنُ الحَالاَتِ حَالُ امْرِىءٍ ... تَطِيبُ بَعْدَ المَوْتِ أَخْبَارُهُ

وفي حسن المعاملة نجاة، يقول المثل: «منَ صَدَقَ الله نجا»، أي من لقي الله بالصدق، وهو أن يحقّق قَولَه فعلُه، وقصة هذا المثل قصة نبوية تتحدّث عن البرّ بالوالدين والنأي عن الفحش وإعطاء الأجير حقه وافيًا، قال ﷺ: «إن ثلاثة نفر انطلقوا إلى الصحراء فمطرتهم السماء، فلجؤوا إلى كهف في جبل ينتظرون إقلاع المطر، فبينما هم كذلك إذ هبطت صخرة من الجبل وجثمت على باب الغار، فيئسوا من الحياة والنجاة.

فقال أحدهم: لينظر كل واحد منكم إلى أفضل عملٍ عمله، فليذكره، ثم ليدعُ الله عسى أن يرحمنا وينجينا.

---

[٢٥٨] التوحيدي: البصائر والذخائر، ج١، ص ٧٣ والنوافل: جمع النافلة وهي الهبة أو الغنيمة – استبقاهم: عفا عن زللهم لتبقى مودتهم – تسوّد: من قولهم سوّده قومه أى جعلوه سيّدًا.

[٢٥٩] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص٣٣٢.

www.mtenback.com

فقال أحدهم: اللهّم إن كنت تعلم أني بارٌّ بوالدي، وكنت آتيهما بغبوقهما فيغتبقانه[٢٦٠]، فأتيت ليلةً بغبوقهما، فوجدتهما قد نامـا، وكرهـت أن أوقظهمـا، وكرهت الرجوع، فلم يزل ذاك دأبي[٢٦١] حتى طلع الفجر، فإن كنت عملت ذلـك لوجهك فأفرج عنا».

فمالت الصخرة عن مكانها حتى دخل عليهم الضوء.

وقال الآخر: اللهم إنك تعلم أني هويت امرأة، ولقيت في شأنها أهوالاً حتـى ظفرت بها، وقعدت منها مقعد الرجل من المرأة، قالت: إنه لا يحلّ لـك أن تفـضّ خاتمي إلاّ بحقّه، فقمت عنها، فإن كنت تعلم أنه ما حملني على ذلك إلا مخافتك فـافرج عنا».

فانفرجت الصخرة حتى لوشاء القوم أن يخرجوا ما قدروا.

وقال الثالث: «اللهم إنك تعلم أني استأجرت أُجراء[٢٦٢]، فعملوا لي، فوفّيتهـم أجورهم، إلاّ رجلاً واحدًا ترك أجره عندي وخرج مغاضبًا، فربّيتُ[٢٦٣] أجره حتىّ نما وبلغ مبلغًا، ثم جاء الأجير، فطلب أُجرته، فقلت: هاك ما ترى من المال، فإن كنـت عملت ذلك لك فافرج عنا فمالت الصخرة، وانطلقوا سالمين».

وما سبق ذكره قليل من كثير يدل على الأثر الطيب لحسن المعاملة الذي يمكن أن نعده دعامة من أظهر دعائم الأخلاق الفاضلة المؤدّية إلى مجتمع قـوي متماسـك متعاون، حتى يصير «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضًا»[٢٦٤]. ويسود المجتمع

---

[٢٦٠] الغبوق: ما يُشرب أو ما يُحلب بالعشيّ - اغتبق: شرب الغبوق.

[٢٦١] الدأب: العادة والشأن

[٢٦٢] الأجراء: جمع الأجير وهو من يعمل بأجر.

[٢٦٣] ربّيته: نمّيته.

[٢٦٤] النووي: رياض الصالحين، ص ١١٨.

www.mtenback.com

الوفاق والوئام، يعود فيه المخطئ إلى الجادّة، والمعادي إلى الألفة والمودّة، يقول تبارك وتعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[٢٦٥].

ولكن ربما تنعدم المعاملة الحسنة عند بعض الناس، فيتشاجرون ويسيء صغيرهم إلى كبيرهم، ويطغى قويّهم على ضعيفهم، ويَزْوَرُّ غنيهم عن فقيرهم، وتطفو على الحياة صفات سيئة كالأنانية والجشع والضغينة والحقد، ويختفي الأمان، ويتعاطى الناس الكذب والتصنع والملق والمراء إلى غير ذلك من الأخلاق السلبية

وإذا اختفى الجانب المشرق وأضحت المعاملة قائمة على هذه السيئات وما يصاحبها من حذر وكذب وتوجس، فذلك نذير بضياع المجتمعات برّمتها، يقول أحمد أحمد شوقي[٢٦٦]:

وَإِذَا أُصِيْبَ الْقَوْمُ فِي أَخْلاَقِهِمْ ... فَأَقِمْ عَلَيْهِمْ مَأْتَمًا وَعَوِيْلاَ

ويقول أخر:

وَلَيْسَ بِعَامِرٍ بُنْيَانُ قَوْمٍ ... إِذَا أَخْلاَقُهُمْ كَانَتْ خَرَابَا

وسوء المعاملة يوقع في مهاوي الهلكة، فالمخادع يلقى جزاء سوئه، يقول المثل: «من حفر مُغْوَاةً وقع فيها»[٢٦٧] ولا خلاف في أن: «من يزرع الشوك لا يحصد به العنبا»[٢٦٨]، «ومن غربل الناس نخلوه»[٢٦٩]، و«من عاشر الناس بالمكر كافؤوه

---

[٢٦٥] سورة فصلت: آية ٣٤.

[٢٦٦] شوقي، أحمد: الشوقيات، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١٠، (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)، ص١٨٣.

[٢٦٧] المغواة: حفرة تحفر وتغطّى للضبع والذئب ويجعل فيها جدي فيسقط عليه الوحش المفترس يريده فيصاد؛ الميداني: مجمع الأمثال، ج٢، ص ٢٩٧-٢٩٨.

[٢٦٨] الميداني: مجمع الأمثال، ج٢، ص٣١٧-٣١٨.

[٢٦٩] أي من يكشف حال الناس ويفتش أمورهم جعلوه نخالة - الميداني: مجمع الأمثال، ج٢، ص ٣٢٢.

www.mtenback.com

بالغدر»[٢٧٠]، و«من ترك المِراء سلمت له المروءات»[٢٧١]، و«إذا ظلمت من دونك فلا تأمن عذاب من فوقك»[٢٧٢].

حسن المعاملة فن يجب تدريب النفس عليه وتعويدها على الأخذ به وأول ذلك توطينها على أحوال الناس واختلاف أذواقهم وأمزجتهم، وتقلبها.

فالإنسان لابد أن يعيش في مجتمع كبير ويتصل بالناس في كل حاجة من الحاجات، ويصحب منهم من يجانس طبعه وخلقه ومن لا يتوافق معه ولا يرضاه وهو في كل ذلك مطبوع على الاتصال مضطر إلى المعاملة متعرض لشتى الظروف ومختلف المصالح، ومن طبيعة الناس أن تكون مصالحهم وأذواقهم مؤثرة في تعاملهم، ومن الصعب بل من المستحيل أن يجد الإنسان نفسه في محيط بشري لا تثير المعاملة معه خلافًا ولا تشكل معضلة، ذلك المجتمع غير موجود على الأرض. والإنسان بطبعه لا يستغني عن الناس ولا عن المعاملة معهم، وقد وجب عليه في هذه الحال أن تنبع المعاملة الحسنة من نفسه وطبعه فيكون رضي البال حسن المعشر، يعرف كيف يعيش مع كل المختلفات ويحسن لكل مجال معاملة تليق به وتصلح له، فمن يعيش معه دائمًا ويرتبط به أبدًا يختلف عمن تربطه به علاقة طارئة.

فإذا استطاع المرء أن يعرف حدود معاملاته مع الناس ووضع لكل معاملة ما تستحق من الاهتمام كانت حياته سهلة طيبة، وحسن حاله مع من يعيش معهم أو يلتقي بهم.

ولا شك أن رضا النفس وحب الخير والابتعاد عن بواعث الأذى هي قمة حسن المعاملة وهي مطلب كل إنسان سوي الطبع إلا أن القدرة على ذلك تحتاج رياضة قاسية وصبرًا عظيمًا وعلى العاقل أن يحاول ذلك ما استطاع.

---

[٢٧٠] الميداني: مجمع الأمثال، ج٢، ص ٢٩٦.

[٢٧١] الميداني: مجمع الأمثال، ج٢، ص ٢٩٦.

[٢٧٢] الميداني: مجمع الأمثال، ج١، ص٦٠.

www.mtenback.com

الفهارس

موقع الدكتور مصطفى بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الآيات القرآنية

السورة	الآيـــة	رقمها	الصفحة
البقرة	﴿الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ....﴾	٢٢٩	٤٥
النساء	﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى...﴾	١٩	٤٣
	﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا...﴾	٣٥	٤٤
	﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ...﴾	٣٦	٤٠
	﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلاً مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ..﴾	١٣٠	٤٥
الأنعام	﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا...﴾	١٥١	٤٠
النحل	﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ﴾	١٢٥	٢٩
الإسراء	﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ....﴾	٢٣-٢٤	٤٠
المؤمنون	﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا...﴾	٩٦	٢٩
القصص	﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا...﴾	٥٤	٢٩
العنكبوت	﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾	٨	٤٠
الروم	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا...﴾	٢١	٤٣
لقمان	﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى...﴾	١٤-١٥	٤٠
الأحزاب	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا﴾	٧٠-٧١	٦٩
فصلت	﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي﴾	٣٤	٢٩، ٨٥
الأحقاف	﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ...﴾	١٥	٤١
القلم	﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾	٤	١٣

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الأحاديث

الحديث	الصفحة
«استوصوا بالنساء فإن المرأة خلقت من ضلع»	٤٣
«أكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق»	١٣
«أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا»	١٣
«أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت»	٤٤
«انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا»	٢٧
«إنَّ امرأة عذّبت في هرة حبستها»	٧٧
«إنَّ ثلاثة نفر انطلقوا إلى الصحراء»	٨٣
«إنّ الله يحب الرفق في الأمر كله»	٢١
«إنّما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»	١٣
«إنَّ من أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا»	٤٣
«إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث»	٢٢
«بينا رجل يمشي فاشتد عليه العطش»	٧٨
«جاء رجل إلى رسول الله ﷺ»	٤١
«حسّن خلقك للناس»	١٤
«خدمت رسول الله ﷺ»	٥٥
«خير الأصحاب عند الله تعالى خيرهم لصاحبه»	٢٦
«رحم الله والدًا أعان ولده على بره»	٤٩
«الصلاة لوقتها»	٤١
«فإنَّ فيهم الضعيف والسقيم والكبير»	٢٦
«كل سلامي من الناس عليه صدقة»	١٣
«لا تناجشوا»	٨
«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»	٢٣

www.mtenback.com

الحديث	الصفحة
«لا يحل لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه»	٤٤
«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا»	٨٤
«ما جاء بِك؟ قال: جئت لأسلم»	٢٣
«ما زال جبريل يوصيني بالجار»	٢٦
«ما نقصت صدقة من مال»	٢٠
«مرحبًا بالطيب المطيّب»	٢٢
«مروا له»	١٥
«المسلم أخو المسلم»	٨
«المسلم من سلم المسلمون»	١٧
«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر»	٥٠
«من لا يرحم لا يرحم»	٢٦
«من مرّ في شيء من مساجدنا»	٤٣
«النساء شقائق الرجال»	٤٩
«نعم الجمل جملكما، ونعم العدلان أنتما»	٤٩
«والله لا يؤمن، والله لا يؤمن»	٢٦
«وما كان الرفق في شيء إلا زانه»	٢١

www.mtenback.com

فهرس الأشعار

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
		ـ ب ـ		
إذا عبت	يعيبُ	ـ	١	١٦
لا تغضبنّ	الغضبُ	ـ	٤	٢٨
أكنيه	اللّقبا	ـ	٢	١٨
وليس	خرابا	ـ	١	٨٥
وما أنا	الركائب	حاتم الطائي	٤	١١
فذنبي	بالمغيبِ	ـ	١	٥٣
كن ابن	النسبِ	ـ	٢	٨١
عاشر	قاربْ	أبو تمام	١٠	١٢
		ـ د ـ		
إني إذا	تعدّى	يوسف بن القاسم	٧	٢٧
		ـ ر ـ		
المرء	آثاره	محمود الوراق	٢	٨٣
أسرّ	ظاهره	ـ	١	٥٣
تثاقلت	أزري	ـ	١	٢٤
		ـ س ـ		
من يفعل	الناس	الحطيئة	١	٨٢
		ـ ظ ـ		
وإني	حافظ	ـ	٣	٢٥

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
والنفس	تقنع	أبو ذؤيب	١	٣٤
لا نألم	بالصاع	ــ	١	٣٤
ــ ق ــ				
فداك	تلاقي	ــ	٢	٥٠
ــ ك ــ				
إنَّ أخا	معك	ــ	٢	٢٧
ــ ل ــ				
إنْ كنتُ	ثقلُ	ــ	٢	٣٢
وإذا أصيب	عويلا	ــ	١	٨٥
وإذا رزقت	فضلها	المقنع الكندي	٣	٨٣
ــ م ــ				
يا أيها	التعليم	ــ	٦	١٦
والنفس كالطفل	ينفطم	البوصيري	١	٣٥
وإنك	الفم	ــ	١	٥٤
ــ ن ــ				
أطال الله	المؤمنينا	ــ	٣	٥٤
ما لأبي	يأتينا	ــ	٤	٤٥
أفسدت	بمنّان	ــ	١	٣٠
يا عمر	الجنه	ــ	٨	٦١
وما ذنب	ظنت	ــ	٤	٤٦

www.mtenback.com

فهرس الأمثال

المثـــل	الصفحة
«أحسن وأنت معان»	٨٢
«إذا اتخذتم عند الرجل يدًا فانسوها»	٣٠
«إذا ظلمت من دونك فلا تأمن من عذاب من فوقك»	٨٦
«أشقى الولاة من شقيت به رعيته»	٦٠
«اصطناع المعروف يقي مصارع السوء»	٨٢
«أعن أخاك ولو بالصوت»	٣٣
«إنَّ أخاك من آساك»	٣٧
«إنَّ الله يحب أن يعفو عن زلة السرى»	٢١
«إياك وما يعتذر منه»	١٧
«بالأقلام تساس الأقاليم»	٦٧
«تعاشروا كالإخوان وتعاملوا كالأجانب»	٩
«تفرّق بين المسلمين الدراهم»	٩
«الجار ثم الدار»	٣١
«جزيته كيل الصاع بالصاع»	٣٣
«حافظ على الصديق، لو في الحريق»	٢٣
«خير الناس خيرهم لنفسه»	١٧
«دع اللوم فإن اللوم عون النوائب»	٣٠
«رب أخ لك لم تلده أمك»	٢٣
«صاحب المعروف لا يقع فإن وقع وجد متكأ»	٨٢
«طعم ذكرك معسول بكل فم»	٨١
«لا أحب تخديش وجه الصاحب»	٣١

www.mtenback.com

المثـــل	الصفحة
«لا تكذبنّ ولا تشبّهن»	٢٠
«لا تكن رطبًا فتعصر ولا يابسًا فتكسر»	٣٢
«من بالغ في الخصومة أثم، ومن قصرّ فيها ظلم»	٢٧
«من ترك المراء سلمت المروءات»	٨٦
«من جعل لنفسه من حسن الظن بإخوانه»	٢٢
«من حفر مغواة وقع فيها»	٨٥
«من خدم الرجال خدم»	٨٢
«من زرع المعروف حصد الشكر»	٨١
«من صدق الله نجا»	٨٣
«من عاشر الناس بالمكر كافؤوه بالغدر»	٨٥
«من غربل الناس نخلوه»	٨٥
«من لانت كلمته وجبت محبته»	٨١
«من محضك مودته، فقد خوّلك مهجته»	٢٤
«من يزرع خيرًا يوشك أن يحصد غبطة»	٨١
«من يزرع الشوك لا يحصد به العنبا»	٨٥
«وترك المكافأة من التطفيف»	٣٣
«وجدت الناس إن قارضتهم قارضوك»	٨٢

www.mtenback.com

المصادر والمراجع

إبراهيم، أحمد:

الالتزامات في الشرع الإسلامي، القاهرة، دار الأنصار، د.ت.

الأبشيهي، محمد بن أحمد:

المستطرف في كل فن مستظرف، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١ ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

أحمد، إبراهيم:

المعاملات الشرعية المالية، القاهرة، دار الأنصار، د. ت.

الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين:

الأغاني، تحقيق: علي محمد البجاوي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٣٨٩هـ/١٩٧٠م.

أمين، حسين أحمد:

ألف حكاية وحكاية من الأدب العربي القديم، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م.

البيهقي، إبراهيم بن محمد:

المحاسن والمساوئ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار نهضة مصر، ١٩٦١م.

البوصيري، شرف الدين أبي محمد عبد الله محمد:

بردة المديح، مكتبة القاهرة، القاهرة، بدون تاريخ.

أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي:

ديوان الحماسة، نشر: محمد عبد المنعم خفاجي، القاهرة، محمد علي صبيح، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م.

www.mtenback.com

التنوخي، أبوعلي المحسن بن علي بن محمد:

- المستجاد من فعلات الأجواد، القاهرة، دار الجيل، ط١، ١٩٨٥م.
- نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق: عبود الشالجي، بيروت، دار صادر، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

التوحيدي، أبو حيان علي بن محمد العباس:

- الإمتاع والمؤانسة، تحقيق: أحمد أمين وأحمد الزين، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط٢، ١٩٥٣م.
- البصائر والذخائر، تحقيق: إبراهيم الكيلاني، دمشق، الإنشاء، ١٩٦٤م.

الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل:

- الإعجاز والإيجاز، القاهرة العمومية، اسكندر آصاف، ط١، ١٨٩٧م.
- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، د.ت.
- خاص الخاص، بيروت، مكتبة الحياة، ١٩٦٦م.

جاد المولى، محمد أحمد:

- الخلق الكامل، القاهرة، حجازي والعثمانية، ١٣٥١هـ/١٩٣٢م.
- قصص العرب، بالاشتراك مع: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، الحلبي، ط٣، ١٩٥٤-١٩٥٦م.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر:

التاج في أخلاق الملوك، تحقيق أحمد زكي باشا، القاهرة، الأميرية، ط١، ١٣٣٢هـ/١٩١٤م.

www.mtenback.com

الجريري، أبو الفرج، معافى بن زكريا النهرواني:

الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، تحقيق: دكتور محمد مرسي الخولي، بيروت، عالم الكتب، ط١، ١٩٨١/١٩٨٣م.

الجهشياري، أبو عبد الله محمد بن عبدوس:

الوزراء والكتاب، تحقيق مصطفى السقا وزميليه، القاهرة، الحلبي، ط١، ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م.

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد:

سيرة عمر بن الخطاب، نشر: طاهر النعساني الحموي وأحمد قدري كيلاني، القاهرة، المطبعة المصرية، ١٣٣١هـ.

ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي:

فتح الباري بشرح صحيح البخاري، نشر: طه عبد الرءوف سعد، القاهرة، دار الغد العربي، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

الحصري، أبو إسحاق إبراهيم بن علي:

زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق: علي محمد البجاوي، القاهرة، الحلبي، ط١، ١٩٥٣م.

الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله:

معجم الأدباء، القاهرة، دار المأمون، ١٩٣٦م.

الحوفي، أحمد:

تحت راية الإسلام، القاهرة، الشعب، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.

الخرائطي، أبو بكر محمد بن جعفر:

مكارم الأخلاق ومعاليها، تحقيق: د. سعاد سليمان الخدقاوي، القاهرة، المدني، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

www.mtenback.com

ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد:

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: د. إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، ١٩٧١م.

ابن الداية، أحمد بن يوسف بن إبراهيم:

المكافأة وحسن العقبى، تحقيق: محمود محمد شاكر، القاهرة، الاستقامة، ط١، ١٣٥٩هـ/١٩٤٠م.

الدميري، أبو البقاء كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى:

حياة الحيوان الكبرى، القاهرة، الشرفية، ١٣١٣هـ.

الذهبي، إدوارد غالي:

معاملة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، القاهرة، غريب، ط١، ١٩٩٣م.

الدويك، محمد طالب سليمان:

القصص الشعبي في قطر، مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربي، ١٩٨٤م.

الراغب الأصبهاني، أبو القاسم حسين بن محمد:

محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء، القاهرة، الشرفية ١٣٢٦هـ.

الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد:

الأعلام، بيروت، ط٥، ١٤١٤هـ.

زناتي، محمود سلام:

نظام الجوار أو حق اللجوء في الأعراف القبلية العربية المعاصرة، الرياض، سفير، ط١، ١٤١٤هـ.

سعيد، عبد الستار فتح الله:

المعاملات في الإسلام، القاهرة، دار الطباعة والنشر الإسلامية، ط٢، ١٤٠٦هـ.

www.mtenback.com

السيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبد الله:

أخبار النحويين البصريين، تحقيق: طه محمد الزيني ومحمد عبد المنعم خفاجي، القاهرة، الحلبي، ط١، ١٩٥٥م.

شفيق، محمد:

التشريعات الاجتماعية العمالية والأسرية، القاهرة، المكتب الجامعي الحديث، ١٩٨٦م.

الشهاوي، محمد عبد الفتاح:

الأسرة في المجتمع العربي بين الشريعة الإسلامية والقانون، القاهرة، دار القلم، ١٩٦٢م.

شوقي، أحمد:

الشوقيات، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١٠، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

صفوت، أحمد زكي:

- جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، القاهرة، الحلبي، ط١، ١٣٥٢هـ/١٩٧١م.

- جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة، القاهرة، الحلبي، ط٢، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى:

أخبار الشعراء أو الأوراق، نشر هيوارث دن، القاهرة، الصاوي، ط١، ١٩٣٤م.

الطبرسي، رضي الدين الفضل بن أمين الدين أبي علي فضل الله:

مكارم الأخلاق، القاهرة، العامرة المليجية، ط١، ١٣٣١هـ/١٩١٢م.

www.mtenback.com

الطرطوشي، محمد بن الوليد بن محمد بن خلف:

سراج الملوك، القاهرة، المحمودية التجارية، ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م.

ابن عربي، محيي الدين محمد بن علي بن محمد الحاتمي:

محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار في الأدبيات والنوادر والأخبار، القاهرة، السعادة، ١٣٢٤-١٣٢٥هـ.

علوان، عبد الله:

تربية الأولاد في الإسلام، بيروت، دار السلام، د.ت.

علي، محمود محمد:

المعاملات في الشريعة الإسلامية، القاهرة، دار الاتحاد العربي، ط١، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.

عيسى، إبراهيم سليمان:

معاملة غير المسلمين في دولة الإسلام، القاهرة، دار المنار، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري:

- أدب الكاتب، نشر: محب الدين الخطيب، القاهرة، السلفية، ١٣٤٦هـ.

- عيون الأخبار، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٣٤٣-١٣٤٩هـ/ ١٩٢٥-١٩٣٠م.

قراعة، محمود علي:

الأخلاق في الإسلام من أحاديث الرسول ومن فتاوى ابن تيمية، القاهرة، دار مصر، ١٩٦٤م.

www.mtenback.com

ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر:

البداية والنهاية، القاهرة، دار الغد العربي، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب:

أدب الدنيا والدين، تحقيق مصطفى السقا، القاهرة، الحلبي، ط٤ ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

المراكشي، محيي الدين عبد الواحد بن علي التميمي:

المعجب في تلخيص أخبار المغرب، نشر: محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، القاهرة، الاستقامة، ط١، ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م.

ابن مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد:

تهذيب الأخلاق، القاهرة، مدرسة والدة عباس باشا، ط٢، ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م.

المغربي، عبد الحكيم علي:

المعاملات في الفقه الإسلامي، القاهرة، دار الطباعة المحمدية، ط٢، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

المغربي، عبد القادر بن مصطفى الطرابلسي:

الأخلاق والواجبات، القاهرة، السلفية، ط٢، ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م.

ابن المقفع، أبو محمد عبد الله بن داذويه:

- الأدب الكبير، تحقيق: أحمد زكي باشا، القاهرة، مدرسة محمد علي الصناعية، ط١، ١٣٣٠هـ١٩١٢م.
- الأدب الصغير، نشر محمود إبراهيم هيبة، القاهرة، دار التقدم، ١٩١٢م.
- كليلة ودمنة، بيروت، مكتبة الحياة، ١٩٨٣م.

www.mtenback.com

ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم:

- لسان العرب، القاهرة، بولاق، ١٣٠٠-١٣٠٧هـ.

- المنتخب والمختار من النوادر والأشعار، تحقيق: د. عبد الرزاق حسين، عمان، دار عمار، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد:

مجمع الأمثال، نشر: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، السعادة، ط٢، ١٩٥٩م.

نوفل، عبد الرزاق:

الدعوة إلى الإسلام، القاهرة، الوعي العربي، ط١، ١٩٦٥م.

النووي، محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف:

رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، نشر: رضوان محمد رضوان، بيروت، دار الكتاب العربي، ط١، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب:

نهاية الأرب في فنون الأدب، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط١، ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م.

الهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى:

جواهر الأدب، القاهرة، التجارية الكبرى، ١٩٦٩م.

الوطواط، أبو إسحاق برهان الدين إبراهيم بن يحيى بن علي:

غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائض الفاضحة، القاهرة، الكلّية، ١٣٣٠هـ/١٩١٢م.

www.mtenback.com